**مفهوم النقد**

**النقد لغة واصطلاحاً**:

تتعدد معاني كلمة (النقد) في اللغة فمنها:

* تمييز الدراهم جيدها من رديئها، وصحيحها من زائفها، يقال نقدت الدراهم وانتقدتها: أي ميزت جيدها من رديئها وأخرجت الزيف منها.
* الكشف عما وراء الشيء, يقال نقد الرجل الشيء بنظره: أي إختاس النظر نحوه لكشف حقيقته أو لمعرفة كونه.
* النقاش : يقال ناقد ت فلاناَ ، إذا ناقشته بالأمر.
* الإعطاء: يقال نقدت الجوزة أنقدها، ونقد الدرهم، ونقد له الدرهم؛ أي: أعطاه إيَّاه.

يبدوا من خلال المعنى النقد لغة ان هذه المعاني كلها تدور حول فكرة واحدة وهي تميز الدراهم جيدها من زائفها، غير ان هذا لايعني ان معنى النقد يقتصر فقط على التفريق بين الجيد والرديء، وانما يشمل عملية الإعطاء و الكشف والنقاش، والتناول.

**النقد اصطلاحاَ/**

النقد هو البحث عن الاستحسان والاستهجان، واستخلاص عناصر الجمال ، واظهار مواطن القبح، أي هو عملية التي تعكس مواطن الحسن والجمال في العمل الأدبي كما تعكس مواطن القبح والرداءة فيه، وهوتقويم العمل الأدبي في محاولة لاظهار نموذج الأكمل الذي يجب أن يكون ، وهذا يعني أن مهمة النقد الأدبي هي الكشف عن القيم الفنية ، وأن جوهرة النقد الأدبي يكمن في شرح النصوص وتحليلها لمساعدة القاريء على تذوقها وفهمها ثم يترك الحكم للقاريء بالاستحسان المطلق أو الاستهجان المطلق.

ولم تكتسب الكلمة معناها الاصطلاحي و الفني إلا في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع وأول من استخدم هذا المصطلح هو قدامه بن جعفر (ت377) في كتابه (نقد الشعر)، ويعتبر كتابه ( نقد الشعر) أول مصدر يحمل كلمة النقد، يقول قدامة في نقد الشعر: " العلم بالشعر ينقسم أقساما، قسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه وقسم ينسب إلى قوافيه ومقاطعه، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد منه، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه، وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة... **ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا**، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعهودة".  
ويستخلص من النص أن قدامة قد حدد المفهوم الاصطلاحي لكلمة نقد، الذي هو"تمييز جيد الشعر من رديئه" و الذي سيبقى هو المفهوم الشائع عند النقاد القدامى، ثم (الآميدي (أبو القاسم بن بشر الآميدي) في كتابه (الموازنة) سنة (371هـ)، ومن ثم ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) سنة (463هـ)،غير أن الاستعمال الاصطلاحي لا يبعد بالكلمة عن معناها اللغوي الأصلي، يقول بدوي طبانة في كتابه (دراسات في نقد الأدب العربي): "إن مفهوم كلمة (النقد) في الأدب لا يبعد عن مفاهيمها اللغوية التي عرفها أصحاب اللغة الأصليون، بل إن أكثر المعاني الحقيقية يمكن أن تلحظ في هذا الاستعمال المجازي في نقد الشعر". وجملة القول :   
أن النقد بمفهومه الاصطلاحي)هو دراسة الأعمال الأدبية وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها).

**نشأة النقد:-**

إن النقد طبيعة في الإنسان، وإنه ناقد بفطرته، وهبه الله ملكة التمييز بين الأشياء، وهدته تجاربه في الحياة، إلى التفريق بين ما يضر وما ينفع، وما هو حسن وما هو غير حسن، وعلى هذا فباعث النقد موجود في نفس البشرية فطرة وسليقة، مع ان نقد الأدبي يختلف، هناك رأيان حول نشأة النقد:-

**الرأي الأول**:- ان النقد ينشأ مع العمل الأدبي، وذلك لأن الأديب نفسه يمكن أن يكون ناقداً لعمله، إذ ينشيء النص فيقومه ويعدله أو يستبدل كلمة بأخرى،حتى يُرضي الجمهور المتلقي للشعر ويستقطب إليه أكبر قدر ممكن من الرواة والمعجبين , ولعل أبرز نموذج يمثّل هذا النوع من النقد هو ما اصطلحوا عليه باسم المدرسة الأوسية أو عبيد الشعر وأشهر رواد هذه الطائفة من الشعراء زهير بن أبي سلمة الذي كان يستغرق في تهذيب شعره وإعادة النظر فيه سنة كاملة قبل أن يخرج على الناس بقصيدته كاملة مكتملة... ولهذا السبب سميت قصائده بالحوليات وكان الأعشى فيما يروى عنه يجول أحياء العرب وقبائلها ينشد الشعر مستعينا بآلة موسيقية تدعى الصَّنْج وما يفعل ذلك إلاّ احتفالا بشعره ورغبة في جلب المثنين والمعجبين ولابدّ أنّه كان ـ من باب أولى ـ يصنع بشعره ويختار منه ويزيد وينقص فيه ما يحقق له هذا الهدف والمبتغى.

**الرأي الثاني**:- أن وجود الأدب سابق لوجود النقد، وقد يوجد الأدب ولا يوجد نقد، كما في الشعر الجاهلي مثلا، فقد بلغ الشعر ذروته وأوجه والنقد يكاد يكون معدوما أولا يذكر في تلك الحقبة الزمنية. وقد يعزو البعض تأخر النقد عند العرب بقولهم إن الأدب ظاهرة عاطفية تعبر عما يختلج في نفس الإنسان وما تعتريه من عواطف، وبذلك يكون الأدب رد فعل عاطفي، أما النقد من وجهة نظرهم فهو حالة عقلية منطقية في كثير من أوجهها وظروفها، أو قد يكون لاحقا للنتاج الأدبي، لأنه تقويم لشيء سبق وجوده.

**نشأة النقد في الأدب العربي**

**النقد في العصر الجاهلي**

ان الحديث عن بداية نشأة النقد الأدب العربي يميل بنا ان نذكر ان المؤرخين والنقاد ينقسمون إلى قسمين في هذه المسألة:-

القسم الأول يرى بأن النقد العربي بدء في العصر الجاهلي، وهم يفهمون النقد على انه عبارة عن الأحكام الجزئية السريعة البدائية الإنطباعية، وأنه نقد بسيط إذ لم يتعدَ (النقد الانطباعي).

أما القسم الثاني: فيرى أن النقد المنهجي عند العرب بدأ في القرن الثاني مع [ابن سلام الجمحي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%AD%D9%8A) في كتابه طبقات فحول الشعراء، ومروراً بالجاحظ وابن قتيبة وانتهاء بالعصر العباسي، وهذا ما دفع الناقد ([محمد مندور](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D9%85%D9%86%D8%AF%D9%88%D8%B1)) بأن يقصيه عن دائرة النقد المنهجي في كتابه النقد المنهجي عند العرب، إلا أن نقادا آخرين وجدوا أنه يمثل اللبنة الأولى لنشأة النقد العربي. وقد وُجدت بيئات مناسبة لنمو هذا النوع من النقد منها [سوق عكاظ](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%88%D9%82_%D8%B9%D9%83%D8%A7%D8%B8) حيث يجتمع الشعراء لينشدوا أشعارهم ويتنافسوا فيما بينهم كما وردت من تحاكم [حسان بن ثابت](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B3%D8%A7%D9%86_%D8%A8%D9%86_%D8%AB%D8%A7%D8%A8%D8%AA) و [الخنساء](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1) عند [النابغة الذبياني](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%A8%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86%D9%8A) وما قام به [أمرؤ القيس](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%85%D8%B1%D8%A4_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D8%B3) و [علقمة الفحل](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%82%D9%85%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%AD%D9%84) من احتكام عند أم جندب، وهذه الرواية وإن كانت ضعيفة فإنها تبيّن طبيعة النقد والمرتكزات الأساسية التي يستند إليها.

**بواعث نشأة النقد**

هناك بواعث عدة أثرت في نشوء النقد الأدبي، منها

أولاً: بواعث فردية تمثلت في الأفراد، وذلك في نقد فردي موجه من شاعر إلى آخر، أو من شخص إلى شاعر...

ثانياً: بواعث قبلية تمثلت في تعصب كل قبيلة لشاعرها أو لشعرائها،

ثالثاً: بواعث اجتماعية، فرضها الواقع الاجتماعي لمجموعة قبائل، التي تجمعها عادات وتقاليد تكاد تكون واحدة.

رابعاً: وللبيئة الجاهلية أثرها في نشوء النقد، فالمجتمع القبلي بعاداته وتقاليده القبلية ينشط العداء بين القبائل، ولاشك في أن تغلب لهجة قريش على باقي لهجات العرب الأخرى، بحيث أصبحت لغة الشعراء من جميع القبائل، كان له أثر كبير في إزدهار الشعر الذي بدوره أدّى إلى إزدهار النقد، وبهذا ازدهاره باعث مهم من بواعث نشوء النقد الأدبي، ودافع قوي من دوافعه

خامساً: كذلك مفاخرات الشعراء الجاهليين ومنافساتهم على الالتقاء في المجالس والأسواق، كان من أهم البواعث لنشوء النقد، لأن الشاعر كان يتعرض لحملة نقدية من الحاضرين في المجلس، كما كان يتعرض لنقد الشعراء الذين حضروا من كل صوب لينشدوا أشعارهم، تلك الملاحظات والأحكام كانت نواة أولى للنقد الأدبي عند العرب، فهذه هي أهم البواعث أثرت في نشوء النقد الأدبي في عصر الجاهي .

**الظواهر النقدية في العصر الجاهلي**

أول ما استعملت فيه كلمة النقد كانت بمعني فرز الدراهم والدنانير - قديماً - لبيان الصحيح والمزيف منها ، وتلك مهارة يختص بها الصيارفة، ثم انتقلت إلي نقد أخلاق الناس وعاداتهم، وبيان ما يتحلون به من كريم الصفات ، وما يعاب على أحد من السلوكيات ولهذا قالوا (إن نقدت الناس نقدوك ، وإن عبتهم عابوك)، ثم دخلت كلمة النقد في نقد الشعر والخطب في العصر الجاهلي ، حيث كانت أسواق العرب أشبه بالنوادي الأدبية اليوم - يلقي فيها الشعراء قصائدهم .. وكل يتباهي مفتخراً بقومه ... والناس يسمعون ، ثم يقولون رأيهم .. وهي في هذا الوقت ملاحظات فردية ، تقوم على الذوق الشخصي ، وهذه هي المرحلة الأولي لظهور النقد الأدبي وتطوره .

**\* أولاً// الصور والنماذج من النقد الأدبي في هذه المرحلة :-**

- منها مّا يروى عن نابغة بني ذبيان أنّه كانت تضرب له خيمة من أدم حمراء في سوق عكاظ يجتمع إليه فيها شعراء العرب يعرضون عليه شعرهم وممّن عرض عليه شعره فأشاد به وأثنى عليه الأعشى ثمّ دخلت عليه الخنساء فأنشدته : قَذىً بِعَينكِ أو بِالعَين عُوّارُ ..... إلى أن قالت:

وإنّ صخرا لمولانا وسيّدُنا وإنّ صخرا إذا نشتو لَنَحّارُ

فأعجب النابغة بالقصيدة وقال لها لولا أنّ أبا بصير أي الأعشى أنشدني قبلك لقلت : "إنك أشعر الجن والإِنس" فالأعشى إذن أشعر الذين أنشدوا النابغة، والخنساء تليه منزلة وجودة شعر، فقال حسان : أنا والله أشعر منكَ ومنها . قال : حيث تقول ما ذا؟ قال:

لنا الجَفناتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحَى وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما

وَلدْنا بني العنقاء وابنيّ محرّقٍ فأكرم بنا خالاَ وأكرم بنا إبنما

فقال : إنّك لشاعر لولا أنّك قلّلت عدد جفانك وفخرت بمن ولدتّ ولم تفخر بمن ولدك , وفي رواية أخرى: فقال له : إنّك قلت (الجفنات) فقلّلت العدد ولو قلت (الجفان) لكان أكثر وقلت (يلمعن في الضحى) ولو قلت (يبرقن في الدجى) لكان أبلغ في المديح لأنّ الضيف بالليل أكثر طروقا . وقلت (يقطرن من نجدة دما) فدللت على قلّة القتل ولو قلت (يجرين) لكان أكثر لانصباب الدم وفخرتَ بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدكَ . فقام حسان منكسراً .

ولعل شاهد النابغة هذا قد جمع بين النقد اللفظي والمعنوي كما قال الأستاذ شوقي ضيف : «...وهو نقد سديد , إذ يتناول فيه النابغة مسألتين : إحداهما لفظية والأخرى معنوية , أما اللفظية فإنّ حسانا لم يجمع الجفنات جمعا يدلّ على الكثرة , والعرب تستحب المبالغة في مثل هذا الموقف حين يفخر الشاعر بالكرم والشجاعة في قبيلته , أما المسألة المعنوية ففخره بمن ولدته نساؤهم والعرب لا تفخر بالأبناء وإنما تفخر بالآباء

- كماعابت العرب على النابغة الذبياني وبشر بن حازم الإقواء ( وهو اختلاف حركة الروي في القصيدة) إذ أنّه كان يّقوي في شعره ولا يتفطّن لذلك كقوله :  
 أمن آل مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتدي عجلان ذا زاد وغير مزوّدِ

زعم البوارح أنّ رحلَتنا غدا وبذلك خبّرَنا الغُرابُ الأسودُ  
 فلمّا قدم على أهل المدينة عيب عليه فلم يأبه بذلك حتى اسمعوه إياه فعمدوا إلى جارية وطلبوا منها ترتيل هذه الأبيات أي إنشادها في استمرارية وتتابع فلما قالت (مزودِ الأسودُ) فأحسّ النابغة بنشاز في أبياته وتفطّن لإقوائه فأصلحه بقوله :  
وبذلك تنعابُ الغرابِ الأسودِ   
ولهذا السبب كان النابغة خرج وقال : "قدمت الحجاز و في شعري صنعة ورحلتُ عنها وأنا أشعر النّاس"

ولو أردنا شاهداً قوياً على اهتمام نقاد العصر الجاهلي بشكل القصيدة من حيث الوزن والقافية والروي فلنتأمل في حكومة أمّ جندب المشهورة حيث تقول الرواية كما ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء أنّها طلبت من الشاعرين المتنافسين والمتبارزين امرئ القيس وعلقمة الفحل أن يقولا قصيدتين في موضوع واحد على رويّ واحد وقافية واحدة... فانشداها جميعاً القصيدتين فقالت (أمّ جندب) زوجة امروء القيس(علقمة أشعر منك) فغضب امروء القيس، فسألها:" بم فضلته علي؟" فقالت: لأنك تقول:-

فللسوط ألهوبٌ، وللساق دِرَّةٌ وللزَّجر منه وقْعُ أخْرجَ مِنْعب

ففرسك كليل بليد لم يدرك الطريدة إلا بعد أن ضرب بالسوط، واتبعته بساقك، وهيج بالزجر والصياح، أما فرس علقمة فنشيط لايحتاج إلى إهاجة يسرع في عدوه إسراعاً، وينصب في السير انصاب الريح، جرى خلف الصيد ولجامه مشدود إلى ورائه، وقول العلقمة:

فَأَدْرَكَهُنَّ ثانياً بَعد عِنانِه يَمُرُّ كَمَرِّ الرائحِ المُتَحَلِّبِ

حتى قيل أن أمروء القيس قال: ما هو بأشعر مني ولكنكِ له بعاشقة، فإن صحت هذه القصة كانت لها دلالة كبيرة في النقد الأدبي ،فأم جندب تريد مقياساً دقيقاً تستند عليه الموازنة: هو وحدة الروي، ووحدة القافية، ووحدة الغرض، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ النقد الجاهلي في بعض الأحيان لم يكن سليقة وفطرة بل كانت أصول يعتمد عليها.

**\* ثانياً// ألقاب الشعراء، وتسمية القصائد:-**

وكانت لألقاب الشعراء في العصر الجاهلي دلالاتها النقدية واهميتها التأريخية، إذ ان بعض الشعراء كانت لهم لقبهم الخاص في هذا العصر وهذه الألقاب توحي إلى استعظامهم وتبجيلهم من الناحية الشعرية، وأن اطلاق لقب على انسان ما لفنه هو نقد، مثلاً:

المهلهل بن ربيعة التغلبي: كان اسمه (عدي بن ربيعة التغلبي) يقال بأنه سمي بذلك لأنه أول من هلهل بالشعر أو لتنقيح شعره وتحسنه أو كهلهلة الثوب أي اضطرابه واختلافه.

وكذلك لقب النابغة بالنابغة لنبوغه في الشعر، والمرقش لترقش أي تنمطه وتحسينه الشعر، ولقب طفيل الغنوي بــ(طفيل الخيل) لإجادته لوصف الخيل.

ولقب (النمر بن تولب) بــــــــ(الكيِّس) لحسن شعره، لأن الكيس يعني الحسن.

كما سميت العرب قصيدة من قصائد حسان بن ثابت (البّتارة) أي القاطعة، كأنها قطعت القصيدة المدائح كلها، وكذلك سميت قصيدة سهل بن كاهل الشكري بالتميمية نسبة إلى بني تميم بأكملها. وهذه الألقاب ماجاءت ولقب بها الشعراء وقصائدهم إلا لميزة شعرهم، وهي تدخل ضمن النقد.

**ثالثاً//ظاهرة الرواية**:-

تعتبر الرواية من الظواهر النقدية وهي من أهم الأدوات الأساسية في ذيوع الشعر، يقول الأستاذ شوقي ضيف: "... فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت هي الأداة الطبيعية لنشره و ذيوعه، وكانت هناك طبقة تحترفها، احترافا هي طبقة الشعراء أنفسهم. فقد كان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعراً يروي عنه شعره، وما يزال يروي له ولغيره حتى يتفتق لسانه ، ويسل عليه ينبوع الشعر والفن ومن أشهر هؤلاء الرواة زهير بن أبي سلمى كان راوية لعمه أوس بن حجر، وكان كعب بن زهير راوية لأبيه، وقبلهم كان امرئ القيس راوية لخاله المهلهل، والاعشى كان راوية لخاله المسيب بن علس، أبو ذويب الهذلي كان راوية لساعدة بن جؤية الهزلي، طرفة كان راوية لعمه المرقش الاصغر وكان هو راوية لعمه المرقش الاكبر كما كان روى طرفة عن خاله المتلمس من بني يشكر حيث تربى طرفة.

**سمات النقد في العصر الجاهلي**

يتلخص أهم سمات النقد في العصر الجاهلي فيما يلي:-

1. إن النقد الجاهلي كان فطرياً بدائياً ناشئاً وهذا يعني انه يعتمد على الفطرة والسليقة والملاحظات الفردية، وتقوم على الذوق الشخصي، حيث لم تكن للنقد أصول معروفة ولا مقاييس مقررة ، بل كانت مجرد لمحات ذوقية ونظرات شخصي.  
   كماقيل في الجاهلية : أشعر الشعراء امرؤ القيس إذا ركب ، والأعشى إذا رغب.
2. انه غالباً ما يكون في هذا العصر خالياً من التعليل والتفسير والإيجاد والمبررات الفنية، أي أن الناقد الجاهلي كان يصدر أحكامه بالاستحسان أو الاستهجان دون أن يلزم نفسه بتعليل هذه الأحكام وبيان وجه استحسانه أو استهجانه للنص الأدبي.
3. وكان النقد في هذا العصر يتسم بسمة التركيز والإيجاز فقد يكون كلمة واحدة أو كلمات معدودة أو اشارة مقتضبة أو اللمحة السريعة، اي أن الناقد كثيراً ما يغلف حكمه النقدي بعبارة موجزة، يفهم منها ما يراد، وذلك يتضح في قول طرفة بن عبد (استنوق الجمل) على بيت متلمس الذي يقول:-

وقَد اتَناسى الهَمَّ عند احتضاره بناجٍ عَليهِ الصَيّعريَّةُ مُكْدمِ  
ومواطن الشاهد هو أن الشاعر قد استعمل كلمة الصِعرىِ للبعير أو للجمل والمألوف عند العرب أن الصعرية من سمة عنق الناقة لا عنق البعير، فهذه عبارة موجزة تحمل حكماً نقدياً.

1. الارتجال في الأحكام ما عدا مدرسة عبيد الشعر.
2. كان النقد في هذا العصر يتسم بالجزئية، أي يبتعد في معظمها عن دراسة القصيدة بأكملها وتحليلها كلياً، وانما ينظرون إليها من زاوية جزئية ويحكمون من خلالها على شعره برمته، وكانوا يحكمون على الشعر من ناحية الصياغة والمعنى، والإشادة بمنزلة الشعراء.

ونخلص من هذا إلى القول بأن العرب القدامى قد عرفوا النقد الأدبي وزاولوه، عرفوه فطرة وطبيعة، وزاولوه ذوقاًوإحساساً، وطبقوه على نتاجهم الشعري، ولكنهم لم يعرفوه علماً وفناً، له أصوله وقواعده إذ لم يسموا عملهم هذا نقداً، ولم يصفو هذا الوصف، لأن كلمة (نقد)- مقصوداً بها تمييز جيد الكلام من رديئه- لم تستعمل إلا في القرن الثالث الهجري.

**النقد في عصر صدر الإسلام**

إن دراسة النقد في أي عصر لابدّ من معرفة حالة الشعر في تلك الفترة والآراء النقدية فيه، ولا بدّ من دراسة الواقع الشعري من الناحية العملية لأن الشعر أهم وجه من وجوه الإبداع وان مفهوم الشعر ونظرة الاسلام تبدأ بالقرآن الكريم وتكملها الأحاديث النبوية الشريفة.

**أولاً// مفهوم الشعر في القرآن الكريم:\_**  
 أحدث الإسلام ارتقاء في الفكر والذوق عند العرب، فتطور وتقدم النقد الأدبي خطوة إلى الأمام وظهرت أحكام نقدية فيها شيء من التدقيق والتعليل، تهتم بالصدق والقيم الرفيعة في العمل الأدبي، فقد هذب الاسلام أفكار العرب ووجه فن الشعر وجهة اسلامية، أما عن النقد في هذا العصر يبينها (مفهوم الشعر) في القرآن والسنة من الناحية النظرية وحالة الشعر من الناحية العملية من جهة أخرى، ومن أوائل ما نزلت في القرآن الكريم، قوله تعالى:" **[الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ()أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ () وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ () إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ] (سورة الشعراء:**224-227) ، هذه الآية تقسم الشعراء إلى قسمين:

القسم الأول:- الشعراء الكافرون والمنافقون الذين لا يلتزمون بمبادىء الخير والحق فيما يقولون وينشدون .

أما القسم الثاني:- فهم المؤمنون من الشعراء الذين يلتزمون بالحق والخير فيما يقولون وينشدون، ويؤيدهم القرآن، وذلك حيث يقول ويرى (ابن رشيق):" أن المقصود شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله () بالهجاء ومسوه بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله (عزّ وجل) ونبه عليهم فقال : **[إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ]** ، يريد شعراء النبي صلى االله عليه وسلم والذين ينتصرون له، ويجيبون المشركين ، كحسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد االله ابن رواحه". هذه الآية تُعد أول دعوة في التأريخ النقد العربي عند العرب تدعوا إلى أن يقترن الشعراء طرائق تعبيرهم وأقوالهم الشعرية بسوك ملتزم نحو الخير والحق، وهذا الاتجاه أي اتجاه الالتزام معينة في التفكير صار جنباً إلى جنب الاتجاهات الأخرى التي استجد عبر تأريخ النقد الأدبي فيما بعد عند العرب.

**ثانياً:- مفهوم الشعر في الأحاديث النبوي الشريف**

يعد الحديث النبوي الشريف المرجع الثاني بعد القرآن الكريم فنجد فيه أقوالاً للرسول ، تسير في إطار مفهوم الآيات القرآنية الكريمة التي صنفهم صنفين خير ملتزم بالدين الجديد ومنحرف لا يقدم فائدة أدبية أو أخلاقية.

وقد نزه الله نبيه عن تعاطي الشعر، بقوله تعالى: **[** وَمَاعَلَّمْناهُ الشِعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**]،** وهو على كونه أفصح العرب إجماعاً، لم يكن ينشد بيتاً تاماً على وزنه، وإنما كان قصاراه أن ينشد الصدر أو العجز فحسب، ولم يكن إذا تمثل بيتاً كاملاً يقيم وزنه، إنما يخرج به عن الشعر إلى النثر، أما عن موقفه عن الشعر فهو موقف ينعى على الشعر ويذمه، ومن أقواله في ذلك : " لَأِنْ يَمْتَلِىءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحَاً حَتى يرِيِهِ خَيْراً، له مِنْ أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعرا". وقوله :" لَمَا نَشَأْتُ بَغُضْتُ إِلَيَ الأَوْثان وبَغُضَ إلَيَ الشِعْرُ"

أما عن الشعر الذي يدعو إلى المبادئ التي جاء بها الإسلام أو يبتعد عن الكفر والشر وعبادة الأوثان، والعصبية وغيرها من موبقات الجاهلية، كان في كثير من الأحيان يطلب من أصحابه أن ينشدوه بعض ما يحفظون منه وكان يستحسن بعضه، ويستهجن بعضه اعتماداً على دقة تذوقه، بل وحدث أن عرض آراءه النقدية المتمثلة في تغيير بعض الصيغ لتتوافق مع مبادئ الإسلام .

فهو لم يقف من الشعر موقفاً سلبياً لا بل شجعهم وحثهم على القول ضمن إطار الفكر المتفق مع تعاليمه واتخاذهم سلاحاً من أسلحته للدفاع عن الدين الاسلام، من ذلك قوله لحسان بن ثابت:" اهجمهم وروحالقدس معك"، ولقد رسم للشعر منهجه الذي ينبغي أن يسير عليه وروى عنه قوله : " لَا تَدَعُ العربُ الشِعْرَ حَتى تدعُ الإبلُ الحنين" وكان وهو أكثر العرب فصاحة يتذوق الكلام الجيد ويخوض في حديث مع الوافدين عليه الذين أسلموا ولذا لم يكن من الغريب أن يتحدث الشعراء في مجلسه وان يكثر اجتماعهم به، وان يعجب بالشعر الجيد، وهناك مواقف كثيرة تشير إلى ذلك منها:-

\* سمع النبي من كعب بن مالك قوله: -  
 مُجالَدُنا عن جَذْمِنا كُلُّ فَخْمَةٍ مُذَرَّبةٍ فيها القوانِسُ تلمَعُ   
 فقال النبي نقداً له: "لا تقل عن جذمنا وقل عن ديننا" ، ثم قال له النبي أيصح أن تقولَ: "مجالدنا عن ديننا كل فخمة ؟ قال كعب: نعم، فقال له :"فهو أحسن"، ويفرح كعب بهذه الملاحظة القيمة الصادرة من خير البشر أجمعين، ويتيه على الشعراء بعد ذلك قائلاً: ما أعان رسول الله أحداً في شعره غيري.

\*استحسانه وإعجابه الشديد بقيم عفة النفس والقناعة وترك الخضوع لشهوات البطن التي صورها عنترة بن شداد في قوله:-   
 ولقد أبيتُ على الطوى وأظلُّهُ حتى أنال به كريمَ المأكلِ  
وقد قال ما وصف لي إعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة .

\*وقول ابن حبيب أنشدت رسول الله قول سحيم عبد بني الحسحاس قوله:  
 الحمد لله حمداً لا نقطاع له فليس إحسانه عنا بمقطوع   
علق النبي على ذلك القول بقوله: "أحسن وصدق ، وإن الله ليشكر مثل هذا وإن سدد وقارب ، وإنه لمن أهل الجنة."   
 لم يستحسن النبي شعر الإسلاميين فقط بعد تعداه إلى شعر الجاهليين الذي يتفق مع بعض المبادئ التي جاء بها الإسلام، وحين أنشده بعض من صحابته قول سويد بن عامر -:   
 لا تأمنَنَّ وإن أمسيتَ في حرمٍ إن المنايا بِجنبَي كلِّ إنسانِ  
 فكل ذي صاحبٍ يوماً يفارقه وكل زادٍ وإن أبقيته فــــــانِ   
 فقال الرسول عند سماعه: " لو أدرك هذا الإسلام لأسلم".

وكذلك قال اثر قول طرفة بن عبد:

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالخبار مالم تُزَوِّدِ.

"هذا من كلام النبوة".

\*وفي عهده كانت المساجلات والمحاكمات في الشعر أمامه من ذلك ما روى أن وفداً من بني تميم المعادين له قدموا عليه ومعهم من شعرائهم الزيرقان بن بدر والأقرع بن حابس، ومن خطبائهم عطارد بن حاجب، ثم راحوا ينادونه من وراء الحجرات: يا محمد أخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فأن مدحنا زين وذمنا شين، فرماهم الرسول بخطيبه ثابت بن قيس وشاعره حسان بن ثابت، فساجل ثابت عطاردا خطابة وساجل حسان الزيرقان شعراً ، وردا عليهما رداً بليغاً مفحماً ، دفع الأقرع بن حابس لأن يقول :" واالله إن هذا الرجل (يعني الرسول ) لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شعرائنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، ثم أسلم القوم جميعاً.

\* وقد نقد قصيدة كعب التي اعتذر فيها له، والتي مطلعها ( بانت سعاد) إذ قال كعب  
 إنَّ الرَسُولَ لنور يُستضَاءُ به مُهنَّدٌ مِنْ **سيوفِ الهندِ** مسلولُ  
فعدل النبي قوله إلى   
 إنَّ الرَسُولَ لنور يُستضَاءُ به مُهنَّدٌ مِنْ **سيوفِ اللهِ** مسلولُ

المواقف السابقة تشير من ناحية أخرى أن النبي بتوجيهه للشعراء وحكمه على بعضهم، وتعديل بعض طرائق تعبيرهم يكون قد خطَّ مبادئ عامة من شأنها أن تنقل الشعر الجاهلي إلى إسلامي يعبر عن روح وقيم الإسلام، ينبذ العصبية والكفر وعبادة الأوثان.

**نقد الشعر في عهد الخلفاء الراشدين** :

حذا الشعر في عهد الخلفاء الراشدين حذوا ما انتهجه الرسول الكريم فقد كان الخلفاء يشجعون الشعر والشعراء ولهم لمسات نقدية وآراء في الشعر، فقد حرص الخلفاء والصحابة على أن يكون الشعر في خدمة الرسالة افسلامية، عند تتبعنا للنقد في عصر الخلفاء الراشدين نبدأ بالخليفة الأول**:-(أبو بكر الصديق )**

لم تشهد النقد وقفات كثيرة في عهد خلافته، وذلك لعدم الإستقرار بسبب الحروب الكثيرة، إلاّ أن هناك نظرات لم تخرج عن مألوف النقد في عصر ما قبل الإسلام، عدا ان حسّاً نقدياً وذوقاً فنياً نجد في مفاضلة أبي بكر بين الشعراء، إذ فضل النابغة على غيره من الشعراء وحكم له بأنّه ( أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وابعدهم غوراً) فالمفاضلة عنده بين الشعراء جاءت معللة مبنية على حيثيات وأسس أخذت بالحسبان المعاني الشعرية.

**ثانياً:- عمر بن الخطاب :-**

شهد عهد الخليفة عمر بن الخطاب نوعاً من الاستقرار ورسخت الدولة، وكان كثير الحفظ للشعر حتى (إنه لايكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر)، ويروى أنه قال لابنه عبد الرحمن "احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك"، يقول ابن رشيق : "كان عمر عالماً بالشعر قليل التعرض لأهله وكان على دراية وخبرة عميقة باللغة ومعرفة دقيقة بأسرارها، وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة"، ومن الشواهد التي تدل على خوضه وكثرة حفظه وآرائه النقدية، أنه قال: لوفد غطفان حين وفد عليه من الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا: نابغة بن ذبيان، قال ومن الذي يقول:

فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لايخون

قالوا: هو النابغة ، قال: هو أشعر شعرائكم.

وروي عن أبن عباس : قال لي عمر بن الخطاب : "أنشدني لأشعر شعرائكم، .قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال الذي يقول:

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس بمخلد

قلت : ذلك زهير. قال فذاك شاعر الشعراء . قلت : ولم كان شاعر الشعراء؟ قال لأنه كان لا يعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعراء، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه". ونلاحظ أن عمر في حكمه النقدي هذا انتهج التعليل والتبرير وسطر معايير لهذا الحكم: الأول خلو الشعر من التعقيد والغموض ، والثاني الابتعاد عن الوحشي والغريب، والثالث الصدق وعدم الكذب . فقد كان عمر يفضل الشعر الذي يحوي القيم الأخلاقية والقيمة الأدبية فلذلك فهو يفضل من الشعر ما يجمع بين الحذف في الصناعة الشعرية والصدق في القول والوصف، ولذا فأنه كان لا يحب شعر الهجاء والمفاخرات والمناقضات والغزل الإباحي، وفي قصة الحطيئة مع الزيرقان بن بدر الحطيئة، وقال : إنه هجاني، قال: ما قال لك: قال : قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فأنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر ما أسمع هجاء ولكنه معاتبة. فقال الزيرقان: أو تبلغ مرؤتي إلا أن آكل وألبس؟ فقال عمر : علي بحسان بن ثابت فجيء به فسأله. فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه، وكان هذا القضاء سبباً في حبس الحطيئة.

وكان ظل في إسلامه كما كان في جاهليته حفياً بالشعر شديد الشغف به، بل ظل كذلك بعد اضطلاعه بأعباء الخلافة، واشتغاله بمهامه التي لا تدع له من وقته فراغاً لغيره ، فكان يتمثل بالشعر ويرويه، ويستنشده من أصحابه وحفاظه، ويستقبل الوفود ويخوض معهم في الحديث عن شعرهم وشعرائهم.

**ثالثاً:-عثمان بن عفان :-**

لم تشهد خلافة عثمان مواقف نقدية من الشعر بارزة سوى بعض الاشارات ومنها انه استنشد الشعر وقال في شعر زهير الذي يقول:-

ومهما تكن عند امرءٍ من خليقة وان خالها نخفي على الناس تعلمِ

احسن زهير وصدق، ولو أنّ رجلا دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس) فالصدق الذي أعجب به عثمان في بيت زهير يعتمد على الصدق في القول.

**رابعاً:-علي بن أبي طالب**

فقد سار علي بن أبي طالب نهج من سبقه باخضاعه الشعر لسلطة القيم الاسلامية وفضائل الأخلاق، وكان عارفاً بأساليب البلاغة وبارعاً في الخطابة، وكان له نفاذ بصر في الشعر ونقده ، روي عنه أنه قال : " الشعر ميزان القول" أو " الشعر ميزان القوم" ولا ريب أن تلك المقولة تعطي منزلة كريمة للشعر والشعراء وتبين قيمة الشعر وادرك الخليفة ذلك، وهناك روايات كثيرة تؤكد اهتمامه بالشعر ونقده، منها قوله:" كل شعرائكم محسن......... لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منها ولكن إن لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة امروء القيس بن حجر فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة" هذا يعني أنه حدد أسس ومعايير النقد بقوله إذ اشترط للجودة (حرية الشاعر سلباً أو ايجابياً أو استقلال ضميره ووجدانه وبعد انفعاله عن الخوف والطمع)، وكان تلك الأسس لها تأثير في توجيه خط النقد الأدبي، تشهد بذلك كتابات الجاحظ.

**النقد في العصر الأموي**

يطلق العصر الأموي على الفترة التي تبدأ بخلافة معاوية سنة 41 ه وتنتهي بغلبة العباسيين على بني أمية وانتزاعهم الخلافة منهم سنة 132 ه . لقد شهد النقد في عصر الأموي ازدهار كبيراً ، حيث خطا خطوات بارزة في نحو التطور والارتقاء، وهذا بسبب وجود مجموعة من العوامل ساعدت على ازدهار النقد وهي:-

**عوامل ازدهار النقد في العصر الأموي**:  
1- تشجيع الخلفاء والأمراء.  
 فتح الخلفاء والأمراء أبوابهم للشعراء، فوفدوا من كل فج، فاشتد تنافس الشعراء، وحرص كل منهم على أن يتخير معانيه وألفاظه، وذلك بسبب الجوائز التي كان يرصدها الأمراء، فأنه يمثل حركة أدبية نشطة شجع عليها خلفاء بني أمية، الذين كانوا من ذوى الحس اللغوي الصافي والذوق الأدبي والنقد، ولا ريب أن النقد قد دفع الشعراء إلى تصفية شعرهم مما يشوبه.  
2- الصراع السياسي وما خلفه من أحزاب.  
 كان الصراع السياسي الذي اشتعلت نيرانه في ذلك العصر، عاملاً من العوامل التي أذكت روح الأدب وأثرت في موضوعاته وأدت إلى بروز حركة نقدية متطورة . نشأ عن الصراع السياسي عدة أحزاب، الحزب الأموي الحاكم، والحزب الزبيري المناهض للحكم الشيعة، ثم حزب الخوارج الثائر على دعوى الوراثة القرشية للخلافة، فأن هذه الأحزاب على اختلاف مذاهبها كانت باعثا قويا من بواعث الأدب وقوة الشعر، وقد ساير النقد هذه النهضة الأدبية، ولمع في سمائها، وأخذ ألوانا تختلف في اتجاهاتها مع اختلاف الحياة في أرجاء الدولة.  
3- شيوع مجالس الأدب والغناء (مجالس النقد).  
 أهتم خلفاء بني أمية بالشعر والشعراء اهتماما كبيرا، لاعتمادهم عليهم في الدعوى لهم، فكان للشعراء جانب مذكور في تلك المجالس، ينقدون شعرهم، وكان بين بعض الشعراء تود وتعاطف، فقد جمعتهم صلة الشعر، وألف بينهم ما كان فيهم من اختلاف المنزع والاتجاه ، ولم تعصف بهم ريح التنافس، فأن هذه المجالس تناولت الأدب ونقده، مما يدل على شيوع الذوق الأدبي الرفيع، وعلى نضج العقل العربي واتساعه، وبصره بالقواعد والأصول التي يقوم عليها فن الأدب.  
فأن مجالس النقد كانت عاملا قويا من العوامل التي دفعت النقد إلى الأمام، وخلفت تراثا نقديا ضخما .  
4- تعدد مراكز الشعر وأسواقه.  
 عمل على تجويد الشعراء،كما عمل على نمو روح النقد عندهم، حيث كان النقاد والشعراء يوازنون بين غرض شعري وآخر في شيء من الفهم والعمق والوعي، فقد كانت تلك الأسواق بمثابة منتدياتهم الأدبية التي يعلنون فيها عن براعتهم ورقي أذواقهم، ومن هذه المراكز سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة، فقد تحولا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعراء البلدتين ومن يفد عليهما من البادية لينشد والناس خير ما صاغوه من أشعارهم، إذ أدى سوق المربد دوراً كبيراً في تنشيط حركة الشعر والنقد في العراق في ذلك العصر والذي كانت أهميته لا تقل عن أهمية سوق عكاظ في الجاهلية.

5- النقائض.  
 فن جديد من الشعر، استلزمه الجدل السياسي والقبلي والاجتماعي والأدبي، ونبغ فيه كثير من الشعراء كجرير والفرزدق والأخطل، وقد ظهر أثر النقائض في ازدهار الحركة النقدية واضحا في أن كل شاعر منهم التف حوله فريق من أنصاره المعجبين بشعره،يحاولون أن يظهروا للناس محاسنه وأسباب تفوقه.

**سمات وخصائص النقد في العصر الأموي:**

1- اتساع نطاق النقد حتى شمل الشعراء والأدباء والملوك، مما جعله تنصب فيه أذواق مختلفة كثيرة.  
2- تشعب القول في هذا النقد، وتعددت نواحيه بتعدد الأغراض التي برزت في هذا العصر.  
4- الذوق الفطري وخاصة في بيئة الحجاز.  
5- الوضوح والسهولة، واتسم بالأصالة الفنية والعمق في فهم النصوص.  
6- ظهور اتجاهات جديدة في النقد، تتجه إلى المعاني والأفكار والتصوير، وتصحيح الخيال لدى بعض الشعراء.

**نماذج من النقد الأموي:**

1. مدح ابن قيس الرقيات عبد المالك بن مروان بقصيدة جاء فيها :

إن الأغرّ الذي أبوه أبو العاص عليه الوقار والحجب

يعتدل التاج فـــوق مفرقــه عــــلى جبين كأنه الذهب

فقال له الخليفة : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم ! ، وتمدح " مُصْعَبا " كأنه شهب من الله . وذكَّر الشاعر بما قال في مدح مصعب بن الزبير ، و رأى ذلك أجمل مما قال فيه في قوله :

إنما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظـلماء

ملكه ملك عِزّة ليس فيه جَبروت منه ولا كِبرياء

2- وقال جرير في عبد الملك بن مروان :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقهم إليّ قطينا

فعلق عبد الملك على معنى البيت قائلا : يقول لي ابن عمي ، ثم يقول لو شئت ساقهم إليّ، أما لو قال: لو شاء ساقهم لأصابَ ، فقد جعلني شرطيا له !

3- وكثيرا ما لفت عبد المالك بن مروان انتباه الشعراء إلى حسن رسم الصورة الشعرية بما يناسب مقامه وإبراز الفضائل الخلقية والدينية التي تثير إعجاب الرعية، والدالة على التقوى والعدل والفضيلة ليكون أهلا للخلافة عند رعيته .

وكان تقدير عبد المالك بن مروان للمقام وإحساسه بجودة المعنى وجمال الصورة دقيقا ينم عن قوة وعمق تذوقه للشعر ، فقد أنشده راعي الإبل مرة :

أخليفة الرحمن إنا مَعْشر حُنفاء نسجُد بكرةً وأصيلا

عرب نرى لله في أموالـنا حـقّ الزكاة منزّلا تــنزيلا

فقال له : ليس هذا بشعر إنما هو شرح إسلام وقراءة آية ، ويعنى بذلك أن مثل هذا الشعر قيم في مضمونه لكنه جاف فقير من الناحية الفنية ، وبالتالي ليس بالشعر الجيد الذي ينبغي أن يكون كذلك في المبنى والمعنى.

4- اجتمع يوماً في مجلس عبد الملك بن مروان ( جرير- فرزدق- والأخطل)، فأحضر الخليفة كيساً فيه خمس مئة دينار، وقال لهم ليَقُل كل منكم بيتاً في المدح فأيكم غلب فله الكيس، فبدأ فرزدق وقال:

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء([[1]](#footnote-1)).

وقال الأخطل:

فإن تك زق زاملةٌ فإني أنا الطاعون ليس له دواء([[2]](#footnote-2)).

وقال الجرير:-

أنا الموت الذي أتى عليكم فليس لهارب مني نجاء

فقال لجرير خذ الكيس فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء.

من الجدير بالذكر هو ان النقد دار حول جرير والأخطل والفرزدق أكثر من غيرهم، وكانت الموازنة بين هؤلاء في المعاني والأغراض أبرز ماكان يدور حول النقد آنذاك، فقد شغل هؤلاء الثلاث الناس في عصرهم فشغلهم مناقضة وعصبية.

**النقد اللغوي**

إذا كان النقد في القرن الأول موجهٌ من الناحية الفنية وكان النقاد معظمهم أدباء والمتذوقين للشعر فان النقد في القرن الثاني كان موجهاً إلى الناحية اللغوية وكان النقاد أغلبهم من العلماء الذين كانوا على سعةٍ من الناحية اللغوية والثقافة النحوية.

وبهذا صار النقد علماً وصناعة كما يقول ابن سلام الجمحي ومن أبرز هؤلاء النقاد هو الأصمعي وأبو عبيدة وخلف الحمر وعبد الله بن اسحاق وأبو عمروا بن علاء، وهذا لايعني أن هؤلاء لم يكونوا يهتمون بالجانب الفني، وقد قام جهود هؤلاء الرواة على أساسين:-

الأول :- تنقية اللغة.

الثاني:- توثيق النصوص.

يقول أستاذ طه أحمد ابراهيم كان هؤلاء النحاة يتبعون كلام العرب ليستنبطوا منها قواعد النحو أو وجوه الاشتقاق أو أعاريض التي جاء الشعر عليها وهذا الاستنباط يجرهم بالضرورة إلى نقد الشعر لا من حيث جماله الفني أو رقته بل من حيث مخالفته للقواعد التي استجدوها من خلال استقرائهم إليها من إعراب أو وزن أو قافية.

ومن ثم وجّه اللغويون سهامَ نقدهم إلى شعراء الجاهليين والاسلاميين لبعض ما وقعوا فيه من الاخطاء من ذلك أن عيسى الثقفي أخذ على النابغة أنه رفع كلمة ناقع في البيت الذي يقول:-

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمُ ناقعُ

وكان حقه النصب على الحال لا الرفع، وقد روي أبو عمرو أن ابن اسحاق سمع الفرزدق ينشد:-

وعضُّ زمانٍ يا بن مروان لم يَدَعْ من المالِ إلاّ مسحتاً أو مُجَلَّفٌ

فقال له ابن اسحاق على أي شيء ترفع(مُجَلَّفٌ)؟ فقال: "عليّ مايسوءك وينوءك على أن أقول وعليكم أن تحتجوا"، فقال أبو عمرو بن العلاء أصبت، كما أخذوا عليه تعقيده والالتواء في قوله:-

وما مثله في الناس إلاّ مملكاً أبو أمه حياً وأبوه يقاربهُ

والأصل:-

وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلاّ مملكاً أبو أمه أبوه

والمثل على هذا النمط كثيرةٌ وهذا دليل على سعة النقد اللغوي وتشبيعه، من ذلك:- منع المصروفي أوالتذكير المؤنث أو التأنيث المذكر والفصل بين المترادفين والخطأ الاعرابي والخطأ في صيغة الاشتقاق أو رصد ماهو دخيلٌ من اللفظ ونادر وشاذٌ.

ومن الإنصاف في هذا المقام أن نشير إلى أنّ النقاد لم يصرفوا جُلَّ اهتمامهم في هذا النوع من النقد وإن كان معظمهم من اللغويين والنقاد بل تطرق أحياناً إلى شيء من النقد الفني مثلاً لاحظوا أن ذو الرمة هو من الاسلاميين يحسن في التشبيه، فقال حماد:" إنّ ذو الرّمة أحسن الاسلامين تشبيهاً)، كما لاحظ أنّ طفيل الخيلي غاية في نعت الخيل، وكانوا عندما يصدرون هذه الأحكام يضعون معايير نقدية سليمة مثل الاصالة والابداع والجودة في المعنى أو حسن المطلع الذي يجب أن يكون قوياً ويجب أن يكون مناسباً للغرض ومتين الصياغة، وعلى هذا اتفق معظمهم على أن امروء القيس و أول من بكى وشتكى وقيدا الاوابل، وفي ضوء هذه المعايير كانوا ( النقاد) يضعون الشعراء في مواضيع التي يستحقونها، فالأصمعي مثلاً عندما جعل الفحولة معياراً تقاس به شاعرية الشاعر، قد جعل في حسبانه أن يكون الشاعر متنوع الأغراض وأن يكون كثير الشعر لأن الكثرة دلالة الخصوبة والقوة.

وقد وضع ابن سلام بعض المعايير لتوزيع الشعراء على الطبقات وهذا أول طريق نحو المنهجية التي ينبغي أن يؤخذ بها الناقد، وكذلك وضع النقاد الاصول والقواعد الاساسية لنقد الشعر ومن ثمّ قدموا كثيراً من المصطلحات مثل الفحولة والسرقة وغيرها.

**أبرز النقاد - والقضايا النقدية القديمة في الكتب النقد العربي القديم**

**طبقات فحول الشعراء** - **ابن سلام الجمحي (ت 232هـ** )

**ابن سلام الجمحي**

هو محمد ابن سلام الجمحي المتوفى سنة 232هـ صاحب كتاب (طبقات فحول الشعراء) من أقدم الدراسات، ينتمي زمنياً إلى القرن الثاني الهجري، وقد تتلمذ على يد علماء هذا القرن من البصرين من علماء اللغة والنحو والرواية، ألف ابن سلام كتاب (طبقات فحول الشعراء) الذي يعد بحق الخطوة المنهجية الأولى في جمع ما تبعثر من ملاحظات نقدية سابقة له واخضاعها لمنهج نقدي محدد، وفي الطبقات الخاصة، وسارت على منهج معين واضح.

**مقدمة الكتاب** :

بدأ ابن سلام كتابه بمقدمة طويلة، عرض فيها لمقاييس النقد المختلفة في عصره، كما بين اتجاهه في نقد الشعر ، وفي تصنيف كتابه ، وترتيب طبقاته.

**منهج ابن سلام الجمحي** :

صنف ابن سلام شعراء الجاهلية عشر طبقات ، في كل طبقة أربعة شعراء ، وبذلك اختار من الشعراء الجاهليين أربعين شاعرا ، وكذلك أربعين في طبقات الشعراء الإسلاميين ، وأربعة شعراء في طبقة أصحاب المراثي ، واثنين وعشرين شاعرا في طبقة شعراء القرى العربية ، وثمانية في طبقة شعراء اليهود، فهم جميعا 114 شاعرا .

ورتب ابن سلام الشعراء داخل الطبقة الواحدة وفقا للأهمية ، وكان يبدأ بالحديث عن نسب كل منهم ، ويعرض ما قاله العلماء فيهم ، وما كان من تفضيل شاعر على آخر ، وفي بعض الأحيان نراه يفسر الكلمات الغريبة التي تأتي في قصائد الشعراء ، وآراء علماء اللغة فيها ، وكانت له آراء خاصة في مزاعم هؤلاء اللغويين ؛ فقد كان يختلف معهم أحيانا ، ويتفق معهم أحيانا أخرى.

**معياره في المفاضلة بين الطبقات:**

بنى ابن سلام تمييزه للشعراء، وتأخيره لبعضهم ، وتقديمه للآخرين على أساسين:

الأول: الفحولة، يعني (الشعراء المفضلون والمشهورون عموماً، أي مالهم مزية على غيرهم، وهي أن تكون الشاعرية أبرز صفة في الشاعر و بناء عليه لم يوصف شعراء مثل حاتم بالفحولة لغلبة الكرم على الشعر لديه الفحل)، فكل من ذكرهم ابن سلام في كتابه شعراء فحول.

والأساس الثاني: ( تقارب ) كل أصحاب طبقة في أشعارهم.

**مقاييس اختياره لشعراء كل طبقة في ثلاثة أسباب :**

مهما يكن من أمر فإن ابن سلام أدخل في اعتباره: (الكم) أو القدر، وفي تقديم الشاعر على غيره ، فهو يفاضل بين الشعراء، ويفضل بعضهم على بعض، على أسسه التي اعتمدها، وهي:

1. جودة الشعر .
2. وفرة الشعر .
3. تنوع الأغراض التي نظم فيها الشعر.

وإذا تساوى شاعران في الإجادة، وما روى عن أحدهما أقل من الآخر، وضع صاحب الكثرة في طبقة أرفع، أما إذا اتفق شاعران في الكثرة وتنوع الأغراض، كان مقياس المفاضلة بينهما جودة الشعر، وهو تصنيف يذكرنا بعلم الإحصاء، وقد راح ابن سلام يوازن بين شاعر وآخر، ولم يكتف بمعنى الموازنة، بل نراه يفضل أحدهما، وفي بعض الأحيان كان يوازن بين الأبيات المفردة والقصائد .

**الجاحظ ناقداً**

**الجاحظ: حياته ونشأته ومؤلفاته**

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى، ولد بالبصرة حوالى ١5۹هـ-ت255ه)، ولقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، وقد توفى والده وهو صغير، فعاش يتيما فى كنف والدته، دخل الكتاب على غرار أطفال زمانه، وأفاد من ينابيع سوق البصرة التى كانت ملتقى العلماء والأدباء، وقد عرف هؤلاء العلماء بـ"المسجديين" كما أخذ من أعلام بغداد وعلمائها.

أسهم عاملان فى تكوين شخصية الجاحظ العلمية والأدبية: الأول كثرة قراءته كل ما وقع تحت يده من كتب، حتى إنه كان يستأجر دكاكين الوراقين فيبيت فيها للنظر. الثانى عصر علمى يزدهى بأشهر علماء الأمة فى كل فرع من فروع المعرفة، وهكذا أخذ الجاحظ اللغة عن أشياخها الكبار: الأصمعى، وأبى عبيدة، وأبى زيد الأنصار، وأخذ النحو عن الأخفش الأوسط، وأخذ الحكمة عن صالح بن جناح اللخمى، وتفقه فى الاعتزال على شيخ المعتزلة فى ذلك العصر: أبى إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وقيض للجاحظ أن يعيش فى عصر عاش فيه كبار الشعراء والكتاب.

أثرت هذه المعلومات فى حياة الجاحظ وفى مؤلفاته المختلفة التى لم يترك فيها بابا من أبواب العلم والأدب إلا طرقه، وصار بذلك أعجوبة الزمان وينبوع الافتنان، إذ ذكر الباحثون أنه ترك ما يزيد على مائة وسبعين كتابا، وقد ساعده على كثرة التأليف امتداد عمره، عاش الجاحظ أكثر من تسعين عاما ثم وافته المنية عام ۲55هـ بعد أن أرهقه المرض الذى أصابه فى آخر حياته، ومن أشهر كتبه الكبير ة: "كتاب البيان والتبيين"، و"الحيوان"، و"البخلاء"، و"التاج فى أخلاق الملوك"، و"العثمانية"، و"رسالة التربيع والتدوير"، و"نظم القرآن"، يقول ابن الخياط بالنسبة إلى هذا الكتاب:" لا يعرف كتاب فى الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه، وأنه حجة لمحمد على نبوته غير كتاب الجاحظ".

**هناك ظاهرتان واضحتان في مؤلفات الجاحظ وهما:**

1. الاستطراد:- أي الانتقال من موضوع إلى آخر، وقد وجد الباحثون والدارسون جملة من التعليلات لمنهج الجاحظ الاستطرادي هذا، فذهب بعضهم إنه يرجع إلى طبيعة البيان وآفاق متسع في كتاب البيان والتبين، والبعض الآخر يقولون ان السبب يعودوا إلى تشعب ثقافته وغزارة أفكاره ونتاجه، وقد خاف في زمنه من الحاسدين أن يغير اسلوبه فيسرق منه بعض كتاباته ففعل هذا عمداً لكي يصبح كتاباته مميزة بصبغته الخاصة.
2. مزج الجدّ بالهزل.

**من القضايا النقدية التي نالت حظاً وافراً من اهتمامات أبي عثمان الجاحظ، وشغلت حيزا من كتاباته:-**

1. **قضية الصراع بين القديم والحديث:-**

قضية الصراع بين القديم والحديث من قضايا النقد المهمة، ونراه يتجدد في كل عصر، خاصة حين يتجدد الأدب وتدخل فيه قيم فنية جديدة عليه، ظهر الصراع بظهور التغير الذي طرأ على الشعرِ العربي أوائل القرن الثاني ، وبدأ الاختلاف بين النقاد في أيّهما أحسن : الشعر القديم بقوته وجزالته ووضوحه وطبعه ، أم الشعر الحديث بسلاسته ، ورحابة صوره ، وانعكاسه لواقع التغير.

وكان الجاحظ ينظر إلى هذه المسألة بعين التوفيق أي انّهُ لم يكن متعصباً للشعر القديم ولا الحديث، بل أعلن رأيه صريحاً عن اعجابه بالشعر الجيد سواء كان قديماً أو حديثاً، فيقول في ذلك : "وقد رايت أناساً منهم يبهرجون( يقللون من قيمتها) أشعار المولدين ويستقطون من رواها، ولم أرى ذلك قط إلا من راوية من شعري غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضوع الجيد ممن كان ومن أي زمان كان" وهذا يدل على أن الجاحظ كان مع الجودة أينما كانت، سواء تقدم الزمن بصاحبها أم تأخر، إذن معياره في التفضيل هو جودة الإبداع.

**2- قضية اللفظ والمعنى:-**

تُعدّ قضية اللفظ من أهم القضايا النقدية القديمة التي دار حولها الخلاف وكثرة فيها الآراء فتمحور ذلك كله حول أيهما مصدر الإبداع الجيد في الشعر اللفظ ام المعنى؟.

ويُعدّ الجاحظ من أوائل من اهتموا بهذه المسألة في قوله المشهور: "والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرِفُها العربيُ والعجمي والبدوي والقروي وإنما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيرِ الألفاظ وسهولةِ المخرج وكثرةِ الماء وصحةِ الطبع وجودةِ السبك"، فهو يرى أن الأفضلية للشكل لأن المعاني مشتركة بين الناس، والأديب يتناول المعنى ويصوغه صياغة متفردة، وأن المعوّل في الشعر إنما يقع على ( إقامة الوزن، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وصحة الطبع وجودة السبك ).

ولعل دراسة الجاحظ للألفاظ من أوسع ما وصلنا من تلك الفترة، وهو من أوائل من وضعوا مقاييس للفظ، فقد تحدث عن تنافر الحروف، وملائمة الألفاظ وتماثلها، والحق أنه لم يهمل المعنى، بل كان يؤكده من خلال تأكيده على اللفظ.

وقد توهم كثير من الباحثين والدارسين مقولة الجاحظ: "المعاني مطروحة في الطريق....." انه من انصار اللفظ على المعنى وانه قد شكل بهذا القول مدرسة نقدية.

**3- قضية السرقات الأدبية:-**

كانت السرقات الأدبية من أمهات المسائل التي عني بها النقد الأدبي، بكونها جزءاً من اللفظ والمعنى، وهي قديمة قدم الشعر العربي ، ومن أوسع أبواب النقد الأدبي، وكان للجاحظ أسلوبه فى بيان السرقة الأدبية وتخريجها، سواء ما يتعلق منها بسرقة الألفاظ أو المعانى وذهب إلى أن المجالات التى يسرقها بعض الشعراء من البعض تتكون من أربعة وهى: التشبيه المصيب، أو المعنى الغريب، أو المعنى الشريف، أو المبدع المخترع. وقيل أن يتوغل الجاحظ إلى هذه القضية فلقد سلط الضوء على أن العرب يسمون الذبان "الأقرح" ودل على ذلك يقول الشاعر:

ولأنت أطيش، حين تغدو وسادرا حذر الطعان، من القدوح الأقرح

قال الجاحظ: "يعنى الذبان لأنه أقرح، ولأنه أبدا يحك بإحدى ذراعيه على الأخرى كأنه يقدح بعودى مرخ وغفار، أو عرجون أو غير ذلك مما يقدح به".

وهذه الظاهرة هى التى أدت الجاحظ الى كشف النقاب عن استعمال الشعراء معانى بعضهم من دون أن يكون لأحد.

قال عنترة:

جادت عليه كل عين ثـرة فـتركت حديقة كالدرهم

**فَتَرى الذُّبَابَ بها يُغَنِّي وَحْدَهُ** \*\*\***هَزْجاً كفِعْل الشَّاربِ المُتَرَنّمِ**

غرداء يحك ذراعَهُ بذراعه **فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأَجْذَمِ**

قال الجاحظ فى تحليل هذه الأبيات: "فوصف الذباب إذا كان واقعا ثم حك إحدى يديه بالأخرى، فشبهه عند ذلك برجل قطوع اليدين، يقدح بعودين. ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك ولم أسمع فى هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنترة"

يرى الجاحظ فى هذا الصدد أن المعانى ملك لجميع الناس، يأخذ بعض الشعراء معانى البعض ويشارك بعضهم بعضا فى كثير من المعانى، اللهم إلا أن القدماء والمحدثين منهم لم يستطعوا أن يأتوا بمثل المعانى التى أتى بها عنترة فى وصف الذباب. ويبدو هنا أن الجاحظ يقدر شاعرية عنترة كل تقدير ويرى فى شعره الطبع والموهبة كما يرى الصنعة فى شعر الشعراء الذين يأخذون المعانى من غيرهم.

1. **قضية الطبع والتكلف:-**

عرض الجاحظ لقضية التكلف والطبع، ويرى أنهما حالان للإبداع، ينقسم الشعراء والأشعار بمقتضاهما على قسمين: فالشعراء متكلفون ومطبوعون، والأشعار متكلفة ومطبوعة، ولعل الجاحظ أول من أذاع هذه الفكرة ودعا إليها حين كان يعارض الشعوبية فى بيانه، فذهب إلى أن الشعر غريزة وضعها الله فى العرب، فهم أجود شعرا من غيرهم قال: "والقضية التى لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها: أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب، أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى من المولدة والنابتة. وليس ذلك بواجب لهم فى كل ما قالوه".

وهو يقف مع الطبع وينفّر من التكلف يقول في تناوله للألفاظ : " وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً وسوقياً ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ، إلاّ أن يكون المتكلم بدوياً إعرابياً ، فإن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي"، ولاشك أن الجاحظ يدعى على غير العرب عامة وعلى الشعوبيين خاصة أنهم يقولون الشعر عن تكلف، أما العرب فإنهم يقولونه عن طبع وسجية، أنظر إلى قوله: "وكل شئ للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكرة ولا استعانة".

1. **نظرية العرق (الجنس) والبيئة عند الجاحظ**:

لم يستخدم الجاحظ مصطلح المحدثين وإنما كان يدعوهم بالمولدين، وهذا أمر له أهميته إذ يقودنا إلى مفهومه حول الشعر وعلاقته بالعرق، فالجاحظ بدلاً من أنْ يخوض مع النقاد الأوائل من الرواة والعلماء حول النزاع في أفضلية القدماء أو المحدثين نجده ينقل الأمر إلى ميدان الأعراق؛ فيوازن بين العرب (من الحضر والبادية) والمولدين ليقرر أن أغلبية العرب، والأعراب من البدو والحضر هم في الواقع أشعر من أغلبية المولدين لكن ذلك ليس على إطلاقه في كل ما قالوه،إنه يربط قوة الشعر وروعته بالبداوة، إذ البادية عنده معدن الفصاحة، ومضطرب الحس الذى ينصت إلى نبض الوجود المبدع، فعناصر الإبداع عند الجاحظ هي:.

1. الغريزة: أي الطبع والموهبة.
2. البلد (البيئة).
3. العرق: الأصل والجنس.

فهو في ذلك يخالف ابن سلام الذي ربط كثرة الشعر بالحروب، وقد لاحظ الجاحظ في هذا الصدد أن بني حنيفة وقد كانوا كثيري العدد، واتصفوا بالشجاعة والفروسية، وخاضوا كثيرا من الحروب، وكان يحيط بهم الأعداء من كل جانب، كما كانت القبائل الأخرى تحسدهم؛ إلاّ أنّهم مع ذلك كلّه قد كانوا أقل القبائل شعراً**.**

**الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينوري (276هـ)**

نال ابنُ قُتَيْبةَ (276ه) شهرةً واسعة بفضل أفكاره النقدية فهو أحد نقاد العرب القدماء المشهورين وكان يهتم باللغة والنقد والقرآن وغريب الألفاظ، وهو صاحب كتاب (غريب القرآن) و (أدب الكاتب) و (عيون الخبار)، ومن الجدير بالذكر أنّه قد خص النقد الأدبي بكتاب مفرد ومستقل سماه، كما في العنوان (الشعر والشعراء)،وقد ضمَّنه مقدمة طويلة على غرار مقدمة ابن سلام الجمحي، تطرق فيه الى عدد من القضايا النقدية الهامة، **وأُولى القضايا التي أثِيرت فيه**:-

1. **مسألة ُالقدم والحداثة في الشعر:-**

فكان أولَ ناقد يعرض هذه القضية بالدرس والتحليل، ويبدي حولها رأيا محددا وجريئا، يستند الى مبدأ الجودة الفنية كمقياس نقدي ثابت للمفاضلة والموازنة بين الشعراء، بغض النظر عن أزمانهم قائلاً: "فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه، كما أن الرديء إذ ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولاتقدمه"، ومن هنا يبدوا أنه كان متأثراً بالجاحظ وبأرائه النقدية، فهما يتفقان في جعل الجودة الفنية مقياساً للشعر دون اعتبار للقدم والحداثة، ثمّ إنهما يختلفان في النظر إلى مشكلة اللفظ والمعنى، انحاز الجاحظ إلى جانب اللفظ بينما ذهب ابن قتيبة مذهب التسوية والتوفيق، وقد سلك ابن قتيبة في عرض أفكاره النقدية منهجًا توفيقيًّا؛ أي: إنه تبنَّى موقفًا معتدلاً في الحكم بين القديم في الشعر والمـُحدَث منه، عملاً بالقاعدة النقدية: "كلُّ قديم كان جديدًا في زمانه"، وهو بذلك لا يَودُّ الدخول في جدال بين القُدامَى والمـُحدَثِين، بل يُوثِرُ النظر بعين الناقد العادل، الفاحص لكلِّ عمل أدبي كيفما كان زمنه، فهو يقول: "ولم أسلُكْ فيما ذكرت من شعر كل شاعر مختارًا له سبيلَ مَن قلَّد أو استحسن باستحسان غيرِه، ولا نظرتُ إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمِه، ولا المتأخِّرِ بعين الاحتقار لتأخُّرِه - بل نظرتُ بعين العدل إلى الفريقين وأَعطَيْتُ كلاًّ حظَّه"، وهذا يؤكدُ أن قيمة الشاعر في شعره، وليس في عصره، ورغم هذه النظرة المتحرِّرة من سلطة النقد القديم،فهولم يسلك سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، إذ رأى من العلماء من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين لأنه قيل في زمانه، أو رأى قائله، وحجة ابن قتيبة "ان الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولاخص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك كله مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل زمانه، وجعل كل قديم حديثاً في زمانه".

فإن ابنَ قُتَيْبةَ لم يخرج عن منهج القُدامَى في نقد الشعراء، خاصَّةً من ناحية القمم البنائية للقصيدة العربية، أو حين يَسخَرُ من الشاعر الذي يُوظِّف الفكر الفلسفي داخلَ نسيج القصيدة، فذلك فسادٌ للذوق وانسدادُ أُفُقِ المخيلة، بل الشاعر هو نِتاجٌ للذَّوق العام الذي ترعرع فيه، فهو يحاول التمييز بين النقد الذوقيِّ والروح العلمية في نقد الأعمال وإصدار الأحكام الفنية عليها.

1. **مشكلة اللفظ والمعنى:-**

فقد بين اللفظ والمعنى فصلا لا يبين منه ترجيح لأحدهما على الآخر، إذ قسم الشعر الى أصناف منطقية ومتقابلة، تعكس طبيعة العلاقة الشكلية في نظره فوجده أربعة أضرب وهي:-

1. ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وهذا النوع يميل إلى الألفاظ البسيطة المفهومة والتي تتقارب مخرجًا ونطقًا، أما فيما يتعلق بالمعنى الجيد فهو في رأيه: ما كان في مديح أو رِثاء أو زهد أو حكمة، وبهذا المعنى يكون الذوق عاملاً مهمًّا في عملية النقد، ثم يأتي من بعده التكوينُ اللُّغويُّ والثقافي الذي يغذِّي الإحساس بالجمال والاحترام، مثل قول أوس بن حجر:

أيَّتها النفسُ أَجْمِلي جزَعَا إن الذي تَحْذرين قد وقعَا

1. وضرب حسن لفظه دون أن يكون وراءه معنى عميق: يتضح أن ابنَ قُتَيْبةَ يبحث في أغراض الشعر عن الفائدة الفكرية، أو مدلولٍ تربويٍّ أو حكمةٍ أو معنًى أخلاقيٍّ، لذلك نراه يُخرج الغزل الرقيقَ والوصفَ البديعَ من نِطاق الشعر الجيد، فهو رفضٌ مُعلَّل بخلو الفائدة، وكم من قصائدَ جميلةٍ كان مآلها عند ابن قُتَيْبةَ التهميشَ، طالما لم تَرُقْ إلى ذوقه الفني، ومن أمثلة ذلك قول جرير

 إن العيونَ التي في طرفها حَوَرٌ                     قَتَلْنَنَا ثم لم يُحيينَ قتلانا

يصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ به               و وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أركانا

3- ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه: في هذا الضَّرْبِ تُطرَحُ إشكالية التعبير الفني، ففي بعض الأحيان لا يستطيع الشاعر إخراجَ كلِّ ما في صدره من شحنات شعرية، وبالتالي حين تقرأ قصيدةً ما تحس بأن هناك شيئًا مفقودًا داخلَ نسيجها العام، وعمومًا هذا المعيار ليس ثابتًا أو محدَّدًا للقيمة الفنية طالما أن ابن قتيبة يتمتع بحسٍّ ذوقيٍّ عالٍ وثقافةٍ واسعةٍ تُمكِّناه من استكناه العمل الأدبي.

 ما عاتبَ المرءَ الكريمَ كنفسهِ             والمرءُ يُصلحهُ الجليسُ الصالحُ

4- ضرب من تأخر معناه وتأخر لفظه: وهذا الضَّرْبُ يراه ابن قتيبة في منزلةٍ أقلَّ؛ حيث لا وجود للفظ الجميل ولا المعنى المبتكر، الحامل للفائدة، مثل قول الأعشى يصف امرأة:

وفوها كأقـاحيٍّ   غِـذاه دائـم الهطلِ

كما شيب براحٍ با  ردٍ من عسل النحلِ

1. **ثنائية الطبع والتكلف**:

إلى جانب معادلة اللفظ والمعنى وقف أبن قتيبة عند قسمة ثنائية في النظرية الشعرية، فقد كثر الحديث في عصره عن الطبع والتكلف، دون تحديد لهذين المصطلحين، فتناولهما أبن قتيبة بالتفسير والتمثيل، ثم يقسم ابن قتيبة الشعر إلى متكلف ومطبوع، ويذكر أن هناك دواعي تحث البطيء وتدفع المتكلف، فهو يعرف المطبوع ويقول: "والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر"، وهذا يعني أن الطبع يشمل القول على البداهة من غير تكلف، والطبع كلمة تتعدد دلالتها فهي قد تعني قوة الشاعرية أو الطاقة الشعرية، وذلك في مثل قوله: " والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون، منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل"

ويقول ابن قتيبة عن الشعر المتكلف:- " التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني إليه حاجة وزيادة ما بالمعاني غنى عنه "، أي أن يحاول الشاعر بجهد كبير أن يكتب شعراً، والمثال شعر المنقحين أمثال زهير والحطيئة، على أن بعض المتكلف من الشعر قد يكون جيداً محكماً، ويذكر أبن قتيبة سمة أخرى للتكلف في الشعر وتلك السمة " أن ترى البيت مقروناً بغير جاره ومضموماً إلى غير لفقه" وهذا مقياس هام لأنه أول الطريق إلى الوحدة الكلية في القصيدة عامة، وفقدان " القران " بين الأبيات ليس من صفات شعر المنقحين، ومن ثم يتضح لنا تماماً أن لفظة المتكلف إذا اقترنت بالشاعر عنت شيئاً متميزاً عن معناها حين يوصف بها نوع من الشعر، ولذلك قال أبن قتيبة في وصف أبيات للخليل " وهذا الشعر بين التكلف رديء الصنعة " .  
وتقابل لفظة " الطبع " عند أبن قتيبة ما سماه الجاحظ " الغريزة " ، وهذه الثانية ترد عند أبن قتيبة أيضاً إذ يقول في تعليله عسر قول الشعر: إنه قد ينشأ، "من عارض يعترض على الغريزة " أي يؤثر في الطبع.

1. **بنية القصيدة**:-

تحدث ابن قتيبة عن بنية القصيدة وحلل بناء القصيدة العربية ،وتعليل منهج الأغراض فيها تعليلا بيئيا ونفسيا دقيقا قال فيه قوله الشهير: "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الدياروالدمن والآثار فبكى وشكى وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كانت نازلة العمد في الحلول والظعن،على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماء الى ماء،وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصبابة، ليميل نحوه القلوب، ويصرف اليه الوجوه، وليستدعي اصغاء الأسماع اليه،لأن النسيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب...فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء اليه،والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وذمامة التأميل،وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافاة." مراعاة الحالة النفسية في السامعين (أي في الجمهور)، ومن هذه الناحية علل أبن قتيبة بناء القصيدة العربية فهو يؤمن أن بناء القصيدة على هذه المقدمات إنما كانت تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه، وإشراك السامعين في عاطفة الشاعر، وهي عاطفة تسهل المشاركة فيها لأنها قريبة إلى القلوب جميعاً؛ كما يرى أن مبنى القصيدة لابد أن يظل متناسب الأجزاء معتدل الأقسام فلا يطيل في قسم منها فيمل السامعين، ولا يقطع وبالنفوس ظمأ إلى مزيد؛ فهو يقول: " فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام " ويقر بأن أجزاء القصيدة قد تتكون من مقدمة طللية ومن نسيب ثم من وصف الرحلة للممدوح ثم المدح، فإنه في وقفته عند مبدأ التناسب يرينا أنه يحس إحساساً دقيقاً بالطول المعين الذي لابد للقصيدة أن تحافظ عليه.

ورغم أن بعض النقاد في الشعر العربي قد سبقوا ابن قتيبة الى تناول كثير من القضايا النقدية التي أتى على تحليلها في مقدمة كتابه،إلا أن كل الفضل يعود له في اعادة اثارتها والتوسع فيها واغنائها بمفاهيم ومصطلحات جديدة،وتطبيق بعضها تطبيقا عمليا بعد ذلك في كتابه،إذ حوى فيه ما بين الجاهلي والاسلامي والمحدث من الشعراء،فعمل بذلك على خلق التوافق والانسجام مابين النظرية والتطبيق..وكان لهذا كله أثر واضح في النقد العربي من بعده.

1. **الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر:-**

التفت ابن قتيبة إلى الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر، وقد تناولها من جوانب عديدة منها فقد تناول الحالات النفسية من ثلاثة جوانب أو الأبعاد الثلاثة للعملية الأدبية : ( الشاعر والشعر والمتلقي ) ، وهي **أولاً : الحوافز النفسية الدافعة على قول الشعر** مثل الطمع والشوق والطرب والغضب ( العواطف أو الانفعالات ).

**وثانياً : العلاقة بين الشاعر والزمن** ، لأن بعض الأوقات ذو تأثير خاص في المزاج الشعري ( كأول الليل وصدر النهار )، ولهذين الجانبين ( الحافز والزمن ) أثر في التفاوت في شعر الشاعر نفسه  ، فالشاعر الذي يقول بحافز الرجاء والوفاء يعتمد التفاوت في شعره على تفاوت قوة الحافزين لديه . **وثالثاً :مراعاة الحالات النفسية للسامعين ( المتلقي )،** ومن هذا الجانب علل ابن قتيبة بناء القصيدة على المقدمات المعروفة ؛ من الوقوف على الأطلال والغزل ووصف الرحلة ، برغبة الشاعر في لفت الانتباه، وإشراك السامعين في عاطفة الشاعر وهي عاطفة تسهُل المشاركة فيها لأنها قريبة إلى القلوب، يظهر جليا أن ابن قتيبة استطاع أن يكشف أثر البيئة البدوية في بناء القصيدة العربية، ويثير قيمة العوامل النفسية في تنوع أغراضها، ويشير الى أهمية الحوافز الباعثة على البذل والعطاء لدى الممدوح، ويربط بين هذه العوامل والحوافز والآثار ربطا محكما ووثيقا، وإن كان تعليله لها مقصورا على قصيدة المدح دون غيره من أغراض الشعر العربي الأخرى، والتي يخف تقيدها والتزامها بهذا المنهج الذي أرسى دعائمه النقد العلامة ابن قتيبة.

**البديع - عبد الله بن المعتز(ت320هـ)**  
  
 عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس، الشاعر المبدع،. ولد في بغداد سنة (247 هـ-320هـ)، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلو على ابن المعتز، فلقبوه (المرتضى بالله)، وبايعوه للخلافة، فأقام يوماً وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه.  
بعض مؤلفاته :  
البديع.  
طبقات الشعراء

**ابن المعتز والنقد الانطباعي أو التأثري:-** ابن المعتز خير مثل الناقد الذي كان يؤمن بقول القائل " أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه " ، وهو قول كان يعجب ابن قتيبة، لأنه يريح الناقد من المفاضلة أو البحث عن تداول المعنى، ويعبر عن لحظات التحول والتردد في أذواق الناس، ونشوء الميل الآني إلى الشيء، وتجربة صدمة الإعجاب الأول لدى الكشف المفاجئ. " أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه " - قاعدة قد ينفر منها النقد الموضوعي الخالص، ولكن نقاد العرب لم يوردوا قوله توجز معنى النقد التأثري مثلها. وحسبك أن تقرأ هذه الأقوال لابن المعتز كي تدرك ما اعنيه:  
بشار: ومما يستحسن من شعره وان كان كله حسناً.

أبو الهندي: ومما يستحسن له وان كان شعره كله حسناً جيداً.   
مسلم بن الوليد: ومما يستحسن له، على أن شعره كله ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك أحد.  
الحارثي: ومن جيد شعره وان كان كل شعره جيداً .  
أبو تمام: ومما يستملح من شعره كله حسن .

العتابي: وأشعار العتابي كلها عيون، ليس فيها بيت ساقط.  
وهذه أمثلة تجد لها نظائر كثيرة في كتابه، إذا هو تحدث عن الشعر كله بحكم واحد،منها:-

أولاً: **أحكام على القصيدة الواحدة**، فمثلاً في قوله:في قصيدة ما" فهذه سارت مسير الشمس والريح " وتلك " أشهر من الشمس " وثالثة " صارت  
مثلاً سائراً في الناس " ؛ ورابعة " أشهر من الفرس الأبلق " .  
ثانياً: **أحكام على البيت الواحد**؛ وذلك قوله في بيت شعري "هذا البيت أقرت الشعراء قاطبة انه لا يكون وراءه حسن ولا جودة معنى" وذلك " سجدة للشعراء " وغير ذلك، وربما أدهشنا هذا اللون الجارف من الأحكام النقدية. ولكن سرعان ما تزول دهشتنا إذا تذكرنا أن ابن المعتز كان في منزلته الاجتماعية يمثل دور " الرعاية " والعطف على الحركة الأدبية، وليس من خلق " الراعي " ذي اليد العليا ان يتجاوز حدود المجاملة الاجتماعية اللائقة، كذلك فان ابن المعتز كان ذا مذهب شعري ذي سمات ذاتية خاصة قد تحول بينه وبين تذوق الأشعار التي تباين مذهبه، فلجوءه إلى هذه التأثرية يسبغ عليه صفة " سعة الصدر " في النقد، ويحميه من الاتهام بالتحيز لطريقته؛ وفي ظل هذه التأثرية وحدها يستطيع ان يترجم لشعراء من هجائي أسرته ومداحي العلوية من أمثال السيد الحميري ودعبل. ولا ريب في أن الظهور بهذا المظهر التاثري يحقق له صفة الناقد العادل أكثر مما تحققه الموضوعية، وذلك شيء غريب حقاً. شخص واحد لم يستطع ابن المعتز ان يوسع له مكاناً في كتابه، وذلك هو ابن الرومي لان هذا الشاعر كان قد هجا المعتز أباه، غير إن إغفاله له كان تحاشياً من التورط في الخروج عن خطة التقريظ الانطباعي، وهو أسلم من إدراجه في الكتاب.

**موقف ابن المعتز من قضية السرقة**:

أما عن موقفه من قضية السرقة، فهو يشبه آراء نقاد آخرين من معاصريه فقال: "ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى بفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه ولا فقير إليه"، ثم بين أن العيوب التي عدها وأورد شواهدها من شعر أبي تمام لم تكن إلا نماذج وأنه أسقط ذكر عيوب أخرى ولم يثبتها في رسالته، ومع أن تعليقات ابن المعتز في رسالته هذه ما تزال تأثرية فإنها تبين أن وقوفه إلى جانب المحاسن والمساوئ يهدف إلى شيء من الموضوعية، غير أن القطعة التي بقيت من الرسالة لا تتضمن سوى ذكر المساوئ، التي ترتفع إلى حد الاتهام المتحامل أحياناً، كان يقال إن أبا تمام أخفى الشعر الذي يشبه شعره حين صنع مختاراته لتخفي سرقاته.

فخلاصة رأي الناقد في أبي تمام في هذه الرسالة " أنه بلغ غايات الإساءة والإحسان " أما في الطبقات فقد أصاب رأيه بعض التغير حيث قال: " واكثر ماله جيد والرديء الذي له إنما هو شيء يستغلق لفظه فقط، فأما أن يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا " غير أن نقده في الرسالة تطرق إلى أشياء أخرى من عيوب أبي تمام مثل رداءة المعنى وإخفاق المطابقة وسرقة المعنى دون أن يحسن أخذه والاستعمال الغريب والإغراق في المدح، وتعليقاته في أثناء ذلك قاسية حادة مثل قوله: " وهذا من الكلام الي يستعاذ بالصمت من أمثاله "، وقال عندما أورد لأبي تمام استعارة " شيب الفؤاد " : فيا سبحان الله ما أقبح مشيب الفؤاد. وما كان اجرأه على الأسماع في هذا وأمثاله " .  
 أما في الناحية اللفظية فقد عابه باستعمال الألفاظ الغريبة مثل " الدفقي " و " القاصعاء " و " النفقاء " ثم قال: " إنها من الغريب المصدود عنه وليس يحسن من المحدثين استعمالها لأنها لا تجاوز بأمثالها ولا تتبع اشكالها، فكانها تشكو الغربة في كلامهم ".

**نقد الشعر - قدامة بن جعفر (ت337هـ):**

**قدامة بن جعفر**

هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، ولد في البصرة في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري سنة: (260 أو 276 ه- 337 ه) ، وهو صاحب كتاب (نقد الشعر) الذي يُعدُّ أوَّل أثر نقديٍّ عِلميٍّ مشهور في الأدب العربي، وأدرك ثعلبًا والمبرِّد وابن قتيبة وطبقتَهم، ونشأ في بغداد، كان نصرانيا ثم أسلَم على يد الخليفة العباسيِّ المكتفي بالله، وكانت ثقافته ذات مصدرَين؛ أحدهما عربي تنطق به كلُّ صفحة من صفحات مؤلفاته، والثاني يوناني يتجلَّى أكثر ما يتجلى في كتابه "نقد الشعر"، الذي بدا فيه أثرُ كتاب (الخطابة) لأرسطو. له كتب، منها (الخراج) ، و(نقد الشعر) و (جواهر الألفاظ) و (السياسة) و (البلدان) و (زهر الربيع) في الأخبار والتاريخ، و (نزهة القلوب) و (الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام).

**منهج قدامة في كتابه (نقد الشعر):**

ينطلق قُدامة من تعريفه للشِّعر إلى حَصر العناصر الأولية التي يتكوَّن منها الشعر، وهي: اللفظ والوزن، والقافية والمعنى.

وهو يرى أن الشعر - شأنه شأن أي صناعة أخرى - يعتوره طرَفان؛ الطَّرَف الأقصى هو الجودة، والطرَف الأدنى هو الرَّداءة، وبين هذين الطرَفين تأتي حالُ التوسط بين الجودة والرداءة، وهو عندما يحدِّد تعريفًا للشعر يَنظر في هذه العناصر المذكورة بطريقة شكليةٍ محضة، فيحدِّد الصفات التي يصل الشعر بها إلى أقصى درجات الجودة، ثم يحدِّد بعد ذلك العيوبَ التي بها ينحدر الشعرُ بها إلى أدنى درجات الرداءة، فيَرى قُدامةُ أنه يمكن إحداثُ تراكيبَ وائتلافٍ بين هذه العناصر الأربعة للشعر على هذا النَّحو:

\* اللفظ مع الوزن.

\* اللفظ مع المعنى.

\* الوزن مع المعنى.

\* القافية مع المعنى.

ويحاول النظر في كلِّ عنصر على حدةٍ، فيبيِّن علامات الجودة فيه، ثم ينتقل إلى بيان المحسِّنات العامة للمعاني التي يورد فيها طرَفًا من ألوان البديع، ويضع لها مصطلحات، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان موجبات الحُسن أو الجودة في العناصر المركَّبة، حتى انتهى من بيان النُّعوت، فانتقل إلى بيان العيوب وأوضحَها في العناصر المفرَدة أولاً، ثم بعد ذلك أوضح العيوب التي تقع في المعاني عامَّة، ثم بعد ذلك ذكر بيان العيوب في العناصر المركبة.

**بعض القضايا التي أثارها قُدامة بن جعفر؛ لتحديد مفهوم الشعر:**

**أولاً / تعريفه للشعر:-**

إنَّ قدامة أولى أهميةً كُبرى في تعريفه للشعر؛ حيث يؤلِّف عنده مدخلاً يضبط تصوُّره المعياري، لمعرفة جيد الشعر من رديئه، ويَرى أن الأمر لم يكن واضحًا لدى الناس، ومن هنا يَنطلق لتأسيس نظريته النقديَّة؛ ليعرِّف الشعر وليجعل له مقياسًا تمييزيًّا؛ فالحكم على شيء فرعٌ عن تصوره، وقُدامة يثير انتباه الآخرين على الاهتمام والعناية، بما سيقدِّمه حدًّا معرفيًّا واضحًا للشعر، قلَّما يوجد للشعر مثله، وذلك حينما عرَّفه بقوله: "إنه قولٌ موزونٌ مقفًّى يدلُّ على معنى" نلاحظ في هذا التعريف أنه ركَّز على مستويَين:

المستوى الأول: المكونات الشكليَّة للشعر.

المستوى الثاني: المعاني.

**ثانياً/ معايير الجودة في الشعر:**

هذه المعايير عبارةٌ عن شرائطَ تشمل كلَّ ما هو لفظي؛ من كلمة وتركيب، ووزنٍ وقافية، وما هو معنوي؛ من شكل القصيدة والتحامِ الأجزاء، والتزامِ النُّعوت واجتنابِ العيوب.

وإذا أنعَمنا النظر في هذه المواصفات كلِّها، يمكن لنا تقسيمُها إلى نوعين رئيسَين، منه نوعٌ متعلق بالشكل، وآخرُ متعلِّق بالمعنى.

**1- عناصر الجودة الشكلية:**

**أ -جودة اللفظ:**

ويَشترط في جودة اللفظ الفَصاحة والسماحةَ وخُلوَّه من البشاعة؛ كقول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فلما قضينا من منى كلَّ حاجة |  | ومسّح بالأركان من هو ماسحُ |
| وشدّت على حدب المطايا رحالنا |  | ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ |
| أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا |  | وسالت بأعناق المطيِّ الأباطحُ |

**ب -جودة الوزن:**

واشتَرط فيه أن يكون سهل العروض، وجعَل من نعوت الوزن: الترصيع؛ أي: تصييرَ مقاطعِ الأجزاء في البيت على السَّجع، أو شبيهٍ به، أو من جنس واحدٍ في التصريف.

**ج -جودة القوافي:**

ويشترط فيها أن تكون عَذبةَ الحرف سلِسةَ المَخرَج، وكذلك جعل من نُعوتها التَّصريع وهو إلحاق العَروض بالضَّرب وزنًا وتَقفية، سواءٌ بزيادة أو نقصان.

ويَرى قدامةُ أنَّ امرَأَ القيس أكثرُ مَن يستعمل ذلك، فمنه قولُه:

|  |
| --- |
| قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حبيبٍ ومَنزلِhttp://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif بسِقْطِ اللَّوى بين الدَّخولِ فحَومَلِhttp://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif |

 وبعده بأبياتٍ قال:

|  |
| --- |
| أفاطِمُ مَهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ http://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif وإن كنتِ قد أزمَعْتِ صَرمي فأجمِلي http://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif |

**2- عناصر جودة المعنى:**

**أ - صحَّة المعنى:**

المراد بالصحَّة: وضعُ كلمات في قوالِبَ ملائمةٍ للمحلِّ والحال، فعلى الشاعر مراعاةُ نفسية المتلقِّي، وأن يتجنَّب الإحالة والإغراق المفضِيَين إلى التَّشويش على المتلقِّي، وعدم تمكُّن المعنى من ذهنه، فكلما أغرَب الشاعر في معانيه، وابتعَد عن الواقع بمسافة بعيدة، وقع في الإحالة، وابتعد عن الصحَّة.

**ب - التناسب الغرَضي:**

ويَعني به مطابقة الغرَض للمعنى، واختيارَ الألفاظ التي تُلائم الغرض الذي يقول فيه، وتتَّسم بالابتكار، والسَّبكِ الجيِّد.

**ثالثاً / قضية اللفظ والمعنى:-**

ثمَّ وقف قدامة بن جعفر عند قضية (اللفظ والمعنى) وفصل بينهما منذ أن عرّف الشعر بأنَّه:( قول موزون مقفى يدلُّ على معنى) ، ومنذ أن قال ـ أيضاـ: ( المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة).

وهنا يتبين الأثر الأرسطي في قدامة، ذلك بأنَّ أرسطو كان يرى أنَّ الموجودات تتألف من عنصرين: هيولى أو مادة، وصورة تمنح هذه المادة شكلها...، غير أنَّ قدامة الذي فصل بين اللفظ والمعنى لم يعتنق هذه الفكرة الأرسطية ابتغاء التوحيد بين اللفظ والمعنى، أي أنَّه لم يجعل الاثنين شيئا واحدا، وإنَّما أراد أن يقول: إنَّ المعاني معروضة للناس، وإنّما الفضل لمن يمنح هذه المعاني الصورة التي تصير بها شعرا.

**الموازنة بين الطائيين – الآمدي**

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت 320هـ)**،** الآمدي الأصل، البصري المولد والمنشأ، وكان حسن الفهم، جيد الدراية والرواية، أخذ العلم عن الأخفش، والزجاج، وابن السراج، والحامض، وابن دريد، ونفطويه، ومن في طبقة هؤلاء، وله شعر حسن، وتآليف جيدة، واطلاع واسع، وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يصنعه من التآليف، له تصانيف كثيرة، نذكر منها ههنا:

1. تفضيل امرئ القيس على شعر الجاهليين، وهو يشير إليه في الموازنة أحياناً.
2. تبيين غلط قدامة في كتابه "نقد الشعر". وقد أشار إليه في الموازنة أيضاً.
3. المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء، وقد طبع في مصر.
4. معاني شعر البحتري.
5. الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام.
6. فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر.
7. كتاب فعلت وأفعلت.
8. الموازنة بين أبي تمام والبحتري.

فهو ألف ما يزيد عن 20 كتاباً لكن الذي وصل إلينا كتابان فقط الموازنة بين الطائيين والمؤتلف والمختلف، والموازنة بين شعرابي تمام والبحتري كتاب يفرد الكاتب في عدة أبواب وفصول ليسلط الضوء على شاعرين مهمين من خلال الحركة النقدية حول مذهبهما في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

إذا بحثنا عن بدايات الموازنة نجد مفهومات للموازنة موجودة في العصر الجاهلي والأموي والعباسي ولكن بمثابة ملاحظات عابرة لذلك لم تكتب لهذه الموازنة النجاح وكانت بداية بسيطة وغير ناضجة أول مثال نجده عند الشعراء الجاهليين مثل موازنة أم جندب بين علقمة بن عبد وامروء القيس، وفي العصر الاسلامي كانت هناك آراء وخصوصاً يستشهد برأي إمام علي حينما سُئل أيّ الشعراء أحسن.

أما أسس الموازنة قبل الآميدي تختصر فيما يلي:-

1. إجراء الموازنة بين شاعرين أو أكثر في غرض واحد، كالموازنة التي كانت موجودة بين شعراء الغزل في عصر الأموي بين جميل بثينة وكثير عزة وعمر بن أبي ربيعة
2. الموازنة في جميع الأغراض الشعرية: مثل الموازنة بين جرير والفرزدق والأخطل في جميع الأغراض الشعرية
3. الموازنة في دوافع قول الشعر: المقصود به أن يقول الشعر عن دافع نفسي، لكن هذه الموازنة كانت قليلة جداً بالنسبة للموازنات الأخرى، وهذا النوع الذي تحدث عنه ابن قيبة، ونجد هذا النوع من الموازنة في وصف أمروء القيس بأفضل الشعراء من قبل الخليفة علي بن أبي طالب ، لأنه: لم يقل الشعر عن رغبة ولا رهبة.

4- الموازنة من خلال مشابهة الشعراء بالقدامى، أي اتخاذ الشعر القديم مقياساً، ويعتبر هذا الأساس من أهم الأسس النقدية عندهم، مثلا كان النقاد يفضلون الأخطل على غيره لأنه كان أشبه الثلاثة بالجاهليين، وكان الأصمعي يفضل المقبل على الراعي النميري لأنه كان أشبه بالجاهلية، نجد ان هذه الضوابط عابرة وملاحظات عمومية تفتقر إلى كثير من الدقة، هذه أهم الأسس النقدية قبل الآميدي.

ويعد كتاب (الموازنة بين الطائيين) من أهم الكتب النقدية التي وضعت بعض الأسس والمعايير النقدية وهو مثالٌ للتطبيق النقدي على الواقع، وعنوان الكتاب يُعدُّ مقياساً من مقاييس النقد؛ فليس هو تفضيل لشاعر على آخر وإنما هو موازنةٌ بينهما وفي ذلك تمام العدل والموضوعية .

**سبب تأليف الكتاب:**

ان سبب تأليف هذا الكتاب هو ذلك الصراع الدائر بين الفريقين المتطرفين وممثليهما: البحتري الذي كان اعرابي الشعر، مطبوعاً، وعلى مذهب الأوائل وما فارق عمود الشعر المعروف. وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام، وأبي تمام الذي كان شديد التكلف، صاحب صفة، يستكره الألفاظ أو المعاني، وشعره لا يشبه شعر الأوائل، ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة.

**منهج الآمدي في الموازنة:-**

لقد قرأ الآمدي ديواني الشاعرين واستطاع ان ينزع منهما المعاني المتشابهة ويقيم عليها الموازنة ولا شك أنه كان دقيقاً في تقسيمه للمعاني.. وكان يقوم بتحليل القصيدة إلى عناصرها الأولية وهذه الطريقة الصحيحة للموازنة.. وكانت هذه الموازنة تقوم على أربعة أشياء:-

1. المحاجة بين الفريقين.
2. ذكر مساويء الشاعرين.
3. ذكر محاسن الشاعرين.
4. الموازنة بين معنى ومعنى.

**الأركان النقدية في كتاب الموازنة:**

يستند كتاب الموازنة إلى ثلاثة أركان نقدية:

1. الكشف عن السرقات .
2. القراءة الدقيقة.
3. الموازنة.

**الآمدي ومصطلح عمود الشعر** :  
 العمود: في اللغة: عمود البيت وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء، والجمع أعمدة وعمد، وعمود الأمر : قِوامه الذي لا يستقيم إلا به، وفي الاصطلاح : هو طريقة العرب في نظم الشعر لا ما أحدثه المولدون والمتأخرون، أو هي القواعد الكلاسيكية للشعر العربي التي يجب على الشاعر أن يأخذ بها، فيحكم له أو عليه بمقتضاها، ويُعرَّف كذلك بأنه : هو مجموعة الخصائص الفنية المتوفرة في قصائد فحول الشعراء، والتي ينبغي أن تتوفر في الشعر ليكون جيدًا.

    عند تتبع هذا المصطلح تاريخيًا، فإننا لا نجدُّ من النقاد قبل الآمدي من تحدث عن عمود الشعر بهذا اللفظ، وإنما نحن نواجه هذا المصطلح عنده لأول مرة، لذا فإنه يُنسب له فضل الإسهام في تأسيس هذا المصطلح وتأصيله، وقد صرّح الآمدي بلفظ عمود الشعر أكثر من مرة بوصفهِ شيئًا معروفًا ومتداولاً بين الناس، ثم نص صراحةً على أن البحتري قد التزم هذا العمود ولم يخرج عليه، فقال: " أن البحتري كان أعرابي الشعر مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف "  
  
    وفي حين يرى الآمدي أن أبا تمام خرج عليه، ولم يقم به كما قال البحتري، حين قال على لسان البحتري الذي سُئل عن نفسهِ وعن أبي تمام فأجاب : " كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقوم بعمود الشعر منه "  
  
    وهذا يؤكد بأن المصطلح قد جاء من الآمدي خدمةً للبحتري، أي تأييد الآمدي لشعر البحتري؛ لأنه أتهم أبا تمام بالخروج عليه، ونودُّ أن نُشير إلى أن مصطلح (عمود الشعر) الذي ورد في كتاب الموازنة للآمدي، وذكره ثلاثة مرات تصريحًا، كان بمعنى قِوام الشعر وملاكه الذي لا ينهض إلا به حتى يُقال عنه أنه شعر، والمرجعُ في ذلك أشعار العرب القدماء في معانيها وصياغتها وصورها .  
   ومن **خصائص عمود الشعر عند الآمدي من حيث**(الأسلوب، والمعاني، والأخيلة) وكان يستمدها من الشعر القديم، ولا ننسى أنه كان من أنصار القديم، وأن ذوقه محافظ تقليدي يميل إلى أشعار القدماء .  
    إذن فالآمدي تحدث من خلال (عمود الشعر) عن تصوره للشعر وطرائقه ومناهجه من خلال شعر البحتري أنموذجًا للشعر القديم، فقد تحدث عنه من حيث الأسلوب، ومن حيث المعاني، ومن حيث الأخيلة والصور .  
  
أولاً: أما الأسلوب فإن عمود الشعر ينشد في الألفاظ السهولة والألفة، وألا تكون ألفاظًا حوشيه غريبة، وعمود الشعر عند الآمدي من حيث الأسلوب كان ينفر من الألفاظ الغريبة، والكلمات غير المألوفة.  
  
ثانياً: أما من حيث المعاني فعمود الشعر يوليها المرتبة الثانية بعد حسن الأسلوب، وسلامة التأليف وهو يؤثر فيها السهولة والبساطة والوضوح، فالشعر في نظر الآمدي تصوير للأحاسيس والعواطف، وهو حديث إلى القلب والمشاعر، فهو بذلك ينفر من المعاني الصعبة، والأفكار الدقيقة التي تحوج إلى طول تأمل وتفكر، وإلى استنباط واستخراج.

 ثالثاً: أما من حيث الخيال فمن الواضح أن عمود الشعر يهام بالصنعة، ويرى فيها مزية وفضلاً وهو يدعو إلى الأخذ بها، والاهتمام بشأنها ولكن ألا تجاوز المألوف، وألا تبلغ حد الإفراط والإسراف فتصل إلى التكلف والتصنع الممقوت.

      وكان يستمد خصائص عمود الشعر التي تحدثنا عنها سابقًا (الأسلوب، والمعاني، والأخيلة) من الشعر القديم، ولا ننسى أنه كان من أنصار القديم، وأن ذوقه محافظ تقليدي يميل إلى أشعار القدماء .

**الوساطة للقاضي الجرجاني**

هو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني ، المشهور بالقاضي ، ولد في جرجان سنة ٢٩٠هـ ونشأ بها ، ثم جاب البلاد بحثًا عن منابع العلوم والآداب ، حتى اشتهر بعلم الفقه فترجم له الشيرازى في طبقات الفقهاء ، واشتهر بتفسير القرآن فذكره السيوطي في طبقات المفسرين، ثم هو شاعر وكاتب، وناقد بصير وقد عرف أهل عصره قدره فأخذوا عنه وامتدحوه بأكثر من قصيدة ، قد ترك خلفه حصيلة كبيرة من المصنفات ؛ منها : كتاب "تهذيب التاريخ" ، و"تفسير القرآن الكريم" ، و"ديوان شعر" ، و"كتاب الوساطة" .

**سبب تأليف كتاب الوساطة:**

فقد اشتدت خصومة النقاد حول شعره، وراحوا يؤلفون الكتب والرسائل في دراسة بعض جوانب شعره ، وقد غلب على بعض تلك الدراسات رؤية خاصة لماهية النقد ، إذ نلاحظ أنهم يعتبرون النقد هو البحث عن العيوب وتصيدها فقط ، ويكفي النظر إلى عنوانات تلك الكتب والرسائل لكي نؤيد هذا الرأي ، فمثلا: (كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي) و )الرسالة الحاتمية في مآخذ المتنبي المعيبة( و(رسالة في "الكشف عن مساوئ المتنبي" للصاحب بن عباد) و (رسالة بعنوان "المنصف في الدلالة على سرقات المتنبي" لابن وكيع التنيسي (هكذا نلاحظ أن أصحاب هذه المصنفات راحوا يبحثون عن أخطاء وسرقات وعيوب في شعر المتنبي ، الأمر الذي يخيل للقارئ - قليل الخبرة والمعرفة - أن شعر المتنبي بعضه مسروق والبعض الآخر كله عيوب . لكل هذا كان كتاب الوساطة مهما في موضوعه، إذ أنه ينصفه بالدراسة الموضوعية لشعره دون تحيز أو جور مستعينا على ذلك بثقافة الناقد البصير، - الجرجاني - ولكي يحقق هذه الغاية أتى مصنفه على هذا الشكل.

**الفَرقْ بين الوساطة والموازنة:**

يتهم بعض من الكتاب القاضي الجرجاني بالتأثر بمن سبقه من الادباء والكتاب لاسيما ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) ثم بالامدي حين وازن بين الطائيين (الموازنة بين ابي تمام والبحتري) غير ان الجرجاني اعتمد مبدأ المقايسة وليس الموازنة كما انه اعتمد على الالاف من ابيات الشعراء ممن سبق المتنبي ولم يعتمد على شعر شاعرين فقط ثم (قايس الجرجاني بينما الامدي وازن)، والموازنة تمت عند الامدي بين شاعرين، بينما المقايسة عند الجرجاني تمت بين المتنبي و (خصومه) وهم كثير.

**منهج القاضي الجرجاني في الوساطة:**

يتضمن كتابه ثلاثة أجزاء رئيسية:

١ - المقدمة وفيها يقرر القاضي الجرجاني موقفه من الأدب ونقده، وفي هذا الجزء جلّ النظريات

النقدية التي جاءا واعتمد عليها.

٢ - دفاعه عن المتنبي.

٣ - نقد تطبيقي و يتناول فيه مآخذ الخصوم على المتنبي.

فمن خلال هذا التقسيم، نجد أنه جلّ همّه أن يخرج من هذه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"

منتصراً له ومدافعاً عنه وراداً للتهم التي ألصقت به وواضعا له المنزلة الأدبية التي يستحقها.

**المرزوقي ونظرية عمود الشعر .**  
 هو أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفَّى (421 هـ)، فقد تعرض للحديث عن عمود الشعر في المقدمة التي كتبها على شرحهِ لحماسة أبي تمام، فقد مهّد لشرحهِ بمقدمة نقدية قيمة عالج فيها عددًا من القضايا النقدية المهمة، أتى في جانبٍ منها على ذكر عمود الشعر، والواقع أن ما كتبه المرزوقي عن عمود الشعر يعد أول محاولة جادة لتحديده، وقد استفاد في صياغتهِ لنظرية عمود الشعر من كل الآراء النقدية التي سبقته وقد ارتبطت عمود الشعر بالمرزوقي، **ونستطيع أن نُجمل ما فصّله المرزوقي في وصفهِ لعمود الشعر، أن منها ما يعود إلى اللفظ، ومنها ما يعود إلى الأسلوب، ومنها ما يعود إلى الخيال**.

1. أما **اللفظ** فيطلب منه المرزوقي الشرف، والرفعة، والصحة والصواب.
2. أما **الأسلوب** فيطلب منه المتانة، والانسجام، والألفاظ المتميزة، والقافية المواتية للمعنى.

أما **الخيال** فيطلب منه قرب التشبيه، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، وسوف ندرسَ كل عنصر على حدة وهي كالتالي :ـ  
**1- شرف المعنى وصحته** :  
    من الواضح أن هذا العنصر يشترط أن تتوافر في المعنى صفتان اثنتان: **الشرف والصحة**، أما الشرف فقد يتبادر إلى ذهن السامع لأول وهلة بأنه يرتبط بالمعنى الأخلاقي أي أن يكون شريف، ولكن هذا المعنى غير مقصود وإنما المقصود هو أن يكون من أحاسن المعاني المستفادة من الكلام بأن يتلقى فهم السامع مستغنيًا به باستفادة الغرض الذي يُفاد به، ومن أكثر أسباب شرف المعنى أن يكون مبتكرًا غير مسبوق، ثم أن يكون بعضه مبتكرًا وبعضه مسبوقًا، وبمقدار زيادة الابتكار فيه على المسبوقية يدنو الشرف، وشروط المعاني تختلف باختلاف محالها من أغراض الكلام، من إثارة حماس أو استعطاف أو غزل أو نحو ذلك.  
    أما الشرط الثاني من العنصر السابق والذي يشترطه في المعاني هو الصحة أي **صحة المعنى** والمقصود بصحة المعنى أن تتحقق مطابقته لحقيقة ما يتحدث عنه المتكلم، واتفاقهما مع ما فيه من خصائص وصفات  **2-جزالة اللفظ واستقامته** :  
    فاللفظ في عمود الشعر ينبغي أن يتوافر فيه شرطان: الجزالة، والاستقامة، فأما **جزالة** الفظ فهي قوة فيه ومتانة، جاء في لسان العرب: "الكلام الجزل : القوي الشديد، واللفظ الجزل: خلاف الركيك"، إذن أن جزالة اللفظ تكون بما فيه من قوة وشدة ومتانة، ولكن هذه القوة كما ذكرنا لا تُعني أن يكون غريبًا وحشيًا، وإنما يجب أن يكون مأنوسًا مفهومًا، وكذلك أن لا يكون سوقيًا مبتذلاً، ولا هو من كلام العوام .  
    أما الشرط الثاني من العنصر وهو **الاستقامة** والمقصود بها هو اتفاقه مع أصول اللغة وقواعدها المتعارف عليها، فكل لحن أو خطأ أو مخالفة لقاعدة من قواعد النحو والصرف تعد فرقًا لاستقامة اللفظ .  
  
**3-ـ الإصابة في الوصف :**  
    والمقصود بذلك أن يحسن الشاعر التعبير عن الغرض الذي يتناوله، سواء أكان ذلك مدحًا أم هجاءً أم غزلاً، وذلك بأن يذكر الشاعر من خصائص الموضوع الموصوف ما يلائمه أو يصحّ أن يُنسب إليه، وأن يقع على الشيء الذي يتحدث عنه وقوعًا يُحيط به، ويلم بمعالمه إلمامًا سليمًا صحيحًا .  
  
**4-المقاربة في التشبيه :**  
    ويعني ذلك قوة الشبه ووضوحه بين طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به، وهذا أمرٌ عائد إلى فطنة الشاعر وحسن تقديره، إذ يستطيع أن يدرك ما بين الأشياء من صفات مشتركة .  
    وأحسن التشبيه ما وقع بين شيئين بينهما من الاشتراك في الصفات أكثر مما بينهما من الاختلاف؛ ليظهر وجه الشبه دون تعب، أو أن يكون المقصود بالتشبيه أشهر صفات المشبه به؛ لأن التشبيه يكون واضحًا بينًّا لا لبس فيه، كما إذا شبّهت الرجل بالأسد في الشجاعة التي هي أشهر خصائص الأسد.  
 **5- التحام أجزاء النظم، والتئامها على تخير من لذيذ الوزن :**  
    إن هذا العنصر من عناصر عمود الشعر يتحدث عن شيئين اثنين: الأول التحام أجزاء النظم، والثاني التئام أجزاء النظم هذه مع الوزن اللذيذ المتخير، أما الأول فالمقصود به هو حسن تأليف الكلام فتأتي كل كلمة في موقعها، مما يُضفي على الكلام سلاسة وانسيابًا، فلا يتعثر اللسان في النطق به .  
       وحتى يتحقق هذا الالتحام في أجزاء النظم، ويبدو ترابط القصيدة متينًا، ينبغي للشاعر أن يتقن ما سماه البلاغيون (حسن الانتقال) أو (حسن التخلص)، وذلك يكون بأن يمهد في خاتمة الغرض الأول للغرض الثاني الذي ستستقبله القصيدة.

**6- مناسبة المستعار منه للمستعار له :**  
    هذا هو العنصر السادس من عناصر عمود الشعر فقد سُبق المرزوقي إلى ذلك حيث أن النقاد السابقين كانوا يطالبون بالمناسبة بين المستعار منه والمستعار له، أي أن يكون بين المشبه والمشبه به في الاستعارة علاقة واضحة، وصلة قوية، فيكون وجه الشبه ظاهرًا للمخاطب، وهذا الأمر مطلوب في التشبيه، ولكنه في الاستعارة أولى، والحاجة إليه أكبر؛ والسبب في ذلك أن التشبيه يقتضي وجود الطرفين (المشبه والمشبه به)، أما في الاستعارة فأحد الطرفين محذوف، فإذا لم تكن العلاقة ظاهرة معروفة جاءت الاستعارة بعيدة غير مقبولة .  
    ومثال على الاستعارة القريبة الواضحة، تظهر في قول أبي ذؤيب الهذلي :  
وإذا المنيةُ أنشبت أظفارَها             ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ  
    فالموت في فتكهِ بالناس كالوحش الذي ينقضّ على فريسته .

**7-ـ مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما :**  
    وقد أشار النقاد السابقين إلى هذه القاعدة فها هو الجاحظ في كتابة البيان والتبيين يُشير إليها حيث إنه أفاد من الصحيفة الهندية ومن صحيفة بشر بن المعتمر، فأورد منهما نصوصًا توضح هذا العنصر.  
     إن مشاكلة اللفظ للمعنى ضرورة تحتمها طبيعة الصلة بين هذين العنصرين، هذه الصلة التي تقوم على الالتحام التام، والامتزاج الكامل بينها امتزاجًا يشبه امتزاج الروح بالجسد .  
ومما يحقق المشاكله بين اللفظ والمعنى أن يُحيط اللفظ بمعناه بحيث يوفيه حقه من الإيضاح والإبانة والتصوير دون زيادة ولا نقصان، وإنما يكون اللفظ على قدر المعنى.  
    وعندما تقول شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية، هذا يُعني كما ذكرنا بأن تكون كلمة القافية قد جاءت في موضعها؛ لأن المعنى يؤدي إليها، واللفظ يتطلبها، لا أن يكون الشاعر قد اضطر إليها اضطرارًا**.**

**عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم**

**حياته ونشأته**

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ولد في مطلع القرن الخامس هجري، وهو من أصل فارسي من أهل جرجان، ولد بجرجان ونشأ فيها بين طبرستان وخُرسان، قرب بحر الخرز وهذا سبب نسبه إلى جرجان، فقيل الجرجاني ونهل مختلف العلوم في بلدته.

**نظرية النظم:**

النظم لغةً: هو التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، يقال: نظمت اللؤلؤ أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله. ومنه: نظمت الشعر. والنظام ـ بكسر النون ـ: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ....

وبهذا يكون المعنى اللغوي المشترك هو ضم الشيء إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في سلك، وهو ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، فالنظم عنده هو: تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض.

لقد كان لقضية إعجاز القرآن أثر كبير في بلورة فكرة (النظم)، وإنَّ ما وصلنا من كلام يتصل بإعجاز القرآن يرجع إلى القرن الثالث الهجري، فضلا عن ظهور بعض الفرق الكلامية، كالمعتزلة، إذ ذهب إبراهيم النظام (231هـ) من بينهم إلى أنَّ القرآن معجز بالصرفة، أي أنّ الله عز وجل صرف العرب عن معارضة القرآن، مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة، وقد يكون معنى (الصرفة) هو أنَّ للبشر إمكانيات محدودة، ليس لأحد منهم أن يتجاوزها، ومن ثمَّ لا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن، على أنَّ لله تعالى إمكانيات مطلقة لا تتوفر لبني البشر، وقد ألف في قضية (إعجاز القرآن) قبل عبد القاهر كثير من العلماء، لعلَّ أشهرهم: الرماني (386هـ) في (النكت في إعجاز القرآن)، والخطّابي (388هـ) في (بيان إعجاز القرآن)، والباقلاني (403هـ) في (إعجاز القرآن)، ثمَّ توالت المؤلفات في هذا الباب، وفي هذه الكتب والرسائل، وغيرها من المؤلفات، التي تكلمت على إعجاز القرآن حديث عن (النظم)، بيد أنَّ هذا الحديث لم يوضح لنا فكرة (النظم) أو الغرض منها، مثلما فعل عبد القاهر فيما بعد، فلم نجد فكرة واضحة عنها قبل عبد القاهر الجرجاني إلا في كلام القاضي عبد الجبار (415هـ) الذي كان أكثر وضوحا، إذ رأى أنَّ الفصاحة والبلاغة تقومان على ضمّ الكلمات وتقارنها، فقال:" اعلم أنَّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنّما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بدَّ مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة،..... إذا انضم بعضها إلى بعض، لأنَّها قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها...".

**نظرية النظم عند عبد القاهر:**

كان عبد القاهر الجرجاني قد اطلع على آراء من سبقه في هذا الشأن ففسر فكرة الإعجاز تفسيرا يقوم على (النظم)، وربط الإعجاز بالنظم، إذ رأى أنَّ الكتاب العزيز معجز في نظمه، أو توخي معاني النحو التي أطلقها عبد القاهر على موضوعات: التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والقصر، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير...

وفي مقدمة «دلائل الإعجاز» يعرف النظم بأنه «تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"، أو هو توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه فيما بين معاني الكلم، أي "أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها"، ثمَّ يقرّر عبد القاهر أنَّ اللفظة المفردة لا قيمة لها في ذاتها، لا في جرْسها ولا دلالتها مزيّة أو فضل، وإنّما تكون لها مزيّة حينما تنتظم مع جارتها في جمل أو عبارات، ومن ثمَّ يتلاءم معناها مع معاني الألفاظ التي تنتظم معها، أي أنَّ الألفاظ لا تتفاضل إلا إذا اندرجت في سلك التعبير، وانضم بعضها إلى بعض، وأخذت مكانها الطبيعي الذي تقتضيه الصورة وانسجمت مع ما قبلها وما بعدها لأداء المعنى الذي يريده المتكلم، ويعدُّ عبد القاهر أولَّ عالمٍ أخرج النحو من نطاق شكليته وجفافه، إذ أخضع النحو لفكرة (النظم)، فقال:" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"، وقال أيضا: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو..." .

ويذهب عبد القاهر أنَّ معاني النحو في القرآن الكريم قد بلغت درجة من الوضوح والظهور والانكشاف لم يبلغها أيّ نصٍّ آخر، ويستشهد بأمثلة من الشعر العربي، ومن ثمَّ يوازن بينها وبين النظم القرآني، لكي يصل إلى سرِّ الإعجاز القرآني المتمثل في (نظمه)، أو في طريقة تأليفه... والألفاظ عند عبد القاهر تقع مرتبة على المعاني المرتبة في النفس، لأنّك ترتب المعاني في نفسك أولا، ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك، وهذا يعني انّ الألفاظ تبع للمعنى.

وكذلك يفضل الكلام على مدخل النظم في بلاغة الاستعارة في قوله تعالى: [واشْتَعَلَ الرَأْسُ شَيْباً]، وقوله: [وفَجَرْنا الأَرْضَ عيوناَ]، وانه ليقرر أن الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم، وعنها يتحدث وبها يكون لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد فإذا قلنا في لفظ (اشتعل) من قوله تعالى: [واشتعل الرأس شيبا]، أنها في أعلى المرتبة من الفصاحة لم نوجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس، معرفا بالإلف واللام ومقرونا اليهما الشيب منكرا منصوبا ، فليست الفصاحة صفة للفظ (اشتعل) وحده.

ويتحدث عن التشبيه، ويجعل عبد القاهر كذلك ذروة المزية والبلاغة، وهي الإعجاز القرآني، في النظم وحده، لا في شيء آخر.

**يمكن تلخيص آراء عبد القاهر حول نظم الكلام بما يلي** :

1- الألفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها.

2 -ليس المقصود بالنظم ضم الشيء إلى الشيء كيفما اتفق، بل لابد فيه من تتبع آثار المعاني،واعتبار الأجزاء مع بعضها.

3-لا نظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض .

4- ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، أي أن تتوخى

فيه معاني النحو.

5-الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النحو .

1. - جربى: مرض جلدي يعالج بالقطران، والقطران: مادة سوداوي سريعة الاشتعال. [↑](#footnote-ref-1)
2. - زِق: وعاء حمراء للماء. [↑](#footnote-ref-2)